المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التفسير

من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي

السنة الثانية من التعليم الإعدادي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب :

التفسير

من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي

السنة الثانية من التعليم الإعدادي العتيق

الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني :

ردمك :

طبعة 1439هـ / 2018م

الإخراج الفني والطباعة:



دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

الهاتف : 83 75 20 0537 **الفاكس** : 89 75 20 0537



مقدمـــة

أيها التلميذ، أيتها التلميذة:

يسعدنا أن نقدم إليكما كتاب «التفسير للسنة الثانية من التعليم الإعدادي العتيق» الذي يتناول تفسير سور: فاطر، والحديد، والمجادلة.

وتتضمن هذه السور أصول العقيدة التي تقرر توحيد الله تعالى، وتقرير النبوة والرسالة للرسول ﷺ، وإثبات اليوم الآخر وما يتضمنه من بعث وحساب وجزاء، والاستدلال على ذلك بالبراهين والأدلة المحكمة، كما تتضمن بعض الأحكام الشرعية التي تهم قضايا اجتماعية، وأخلاقا سامية، تحقيقا لمبدأ العدل الإلهي الضامن لحقوق الناس.

وقد اعتمدنا على تفسير «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي الغرناطي المالكي المتوفى سنة 741هـ مصدرا أساسيا لبناء محتوى الكتاب، مع الاستفادة مما ورد في أمهات التفسير المعتمدة، بأسلوب يقرب معنى الآيات للمتعلمين وييسر لهم فهمها.

كما استحضرنا في تأليف هذا الكتاب خصوصية التعليم العتيق، التي تعتمد على المتون العلمية، مع الانفتاح على المستجدات التربوية المعاصرة، بجعل المتعلمين محور العملية التعليمية التعلمية، وذلك بإشراكهم في بناء الدرس من خلال أنشطة متنوعة تروم تحقيق أهدافه.

لم نأل جهدا في تقريب معاني السور المقررة، لتتمكنا من استيعاب مضامينها، واستنتاج مقاصدها الكبرى، المتشبعة بقيم الإسلام السمحة المتسمة بالوسطية والاعتدال.

نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الكتاب عونا لكما في مادة التفسير.

والله الموفق للصواب.

منهجية التأليف

درجنا في تأليف هذا الكتاب على المنهج الآتي:

- عرض المادة العلمية لكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي بأسلوب تربوي يراعي مستوى المتعلمين والمتعلمات في هذه المرحلة، مع الأخذ بالراجح من الأقوال أو المشهور منها، واستحضار أهم المقاصد والفوائد التربوية المستنتجة من الآيات.
- ترسيخ مكتسبات المتعلمين والمتعلمات، وتعميق معارفهم وتوجيههم للبحث والتعلم الذاتي، من خلال نصوص استثمار داعمة.
- توثيق الآيات القرآنية برواية ورش عن نافع بذكر السورة ورقم الآية، وفق المصحف المحمدي الصادر عن مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.
- توثيق الأحاديث النبوية بذكر المصدر والكتاب والباب.
- توثيق أقوال العلماء ونقولهم غير تلك الواردة في الكتاب الأصل، بذكر المصدر أو المرجع والصفحة والجزء إن وجد، مع إثبات باقي المعلومات المتعلقة بتوثيق الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.
- ترجمة الأعلام الذين لهم علاقة بالتفسير، بذكر اسم العلم ونسبه وبعض مؤلفاته، وتاريخ وفاته.
- ضبط الأحاديث النبوية ونصوص الاستثمار بالشكل التام ليتمكن المتعلمون والمتعلمات من قراءتها قراءة سليمة.

كيف أستعمل كتابي

الدرس 2

سورة فاطر (الآيات: 4-6)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف وجوه اغترار الإنسان بالحياة الدنيا والشيطان.

2- أن أستدل على صدق رسالة النبي ﷺ.

3- أن أحذر الاغترار بما يزينه الشيطان من متع الحياة الدنيا.

تمهيد

بعد استدلال الله سبحانه في الآيات السابقة على قدرته وعظمته في الخلق والإبداع، جاءت هذه الآيات تسلي النبي ﷺ وتؤكد على صدق رسالته، وتذكر الناس بنعم الله عليهم وتحذرهم من الاغترار بوساوس الشيطان وحزبه الذين يدعون أتباعهم إلى عذاب النار.

فكيف سلى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآيات؟ ولماذا حذر عباده من الاغترار بالدنيا والشيطان؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ④ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ

19

أهداف الدرس
أهداف الدرس وقدراته التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

تمهيد
مدخل يتضمن العناصر الكبرى التي سيعالجها الدرس

الآيات
آيات قرآنية أقرأها مطبقا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي

الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ⑤ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾ [سورة فاطر: 4-6]

الفهم

الشرح:

الْأُمُورُ: جمع أمر، وهو الشأن والحال.

الْغَرُورُ: الشيطان، وقيل: التسويف.

حِزْبَهُ: شيعته وأتباعه.

السَّعِيرِ: النار المستعرة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم سلى الله تعالى رسوله ﷺ في الآيات؟

2- مم حذر الله تعالى عباده في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

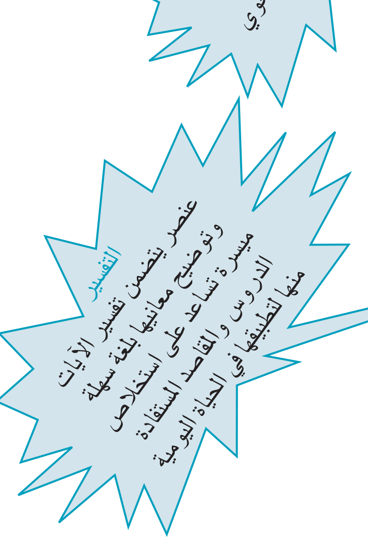
أولا: تسلية الرسول ﷺ والتأكيد على صدق رسالته:

بعد أن تضمنت آيات الدرس السابق الأصل الأول من أصول العقيدة الإسلامية، وهو التوحيد، نصت هذه الآيات على الأصل الثاني الذي هو الرسالة، فقال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه، كأنه يقول له: إن يكذبوك، فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كذبت

20

الشرح
مفردات لغوية تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي اللغوي





وكذبوه فيما يغركم به» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 534/6]. ثم وضح الله تعالى هدف الشيطان من إغواء أتباعه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ «إن» مكفوفة عن العمل بـ«ما»، لذلك وقع الفعل بعدها. ومعنى الآية: «إنما يقصد الشيطان أن يضلكم، حتى تدخلوا معه إلى عذاب جهنم المستعرة» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/ 534].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد متعددة، أهمها ما يأتي:

- إثبات الأصل الثاني من أصول العقيدة الإسلامية المتمثل في صدق رسالة النبي المصطفى ﷺ.
- التأكيد على أن كل أمور الخلائق وشؤونها مرجعها إلى الله تعالى، الذي سيقرر مصيرها يوم القيامة.
- أهمية تزكية الإنسان لنفسه بحثها على عدم الاغترار بالحياة الدنيا وملذاتها، وعدم الانسياق وراء شهواتها، واتباع خطوات الشيطان المؤدية إلى الهلاك وإلى الوقوع في نار السعير.

التقويم

1- ما الغاية من ذكر تكذيب الأمم السابقة للأنبياء والرسل؟

2- لماذا ربط الله تعالى بين غرور الحياة الدنيا وغرور الشيطان؟

3- ما الفرق بين الوعد والوعيد من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؟

23

التقويم
نشاط يتضمن أسئلة تقيس مدى تحقق الأهداف المسطرة في بداية الدرس

الاستثمار

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا» [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله]. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَثَّلَ النَّبِىُّ ﷺ فى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَمَلَ ابْنِ آدَمَ وَأَجَلَهُ وَأَعْرَاضَ الدُّنْيا التى لَا تُفَارِقُهُ بِالْخُطُوطِ، فَجُعِلَ أَجَلُهُ الْخَطَّ الْمحِيطَ، وَجُعِلَ أَمَلُهُ وَأَعْرَاضَهُ خَارِجَةً مِنْ ذَلِكَ الْخَطِّ، وَمَعْلُومٌ فى الْعُقُولِ أَنَّ ذَلِكَ الْخَطَّ الْمُحِيطَ بِهِ الَّذِى هُوَ أَجَلُهُ؛ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوطِ الْخَارِجَةِ مِنْهُ (...) وَفِى هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ عَلَى تَقْصِيرِ الْأَمَلِ، وَاسْتِشْعَارِ الْأَجَلِ خَوْفَ بَغْتَةِ الْأَجَلِ، وَمَنْ غُيِّبَ عَنْهُ أَجَلُهُ، فَهُوَ حَرِيٌّ بِتَوَقُّعِهِ وَانْتِظَارِهِ خَشْيَةَ هُجُومِهِ عَلَيْهِ في حالِ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ» [شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 10/150(بتصرف)].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح العلاقة بين النص ومضامين الدرس.

2- كيف تسهم مضامين النص في تزكية نفسي وتهذيبها؟

24

الاستثمار
نشاط أتدرب فيه على استثمار التعلمات المكتسبة من خلال الدرس في مواقف جديدة

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 7-9 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: سُوٓءُ عَمَلِهِۦ - فَتُثِيرُ - بَلَدٖ مَّيِّتٖ - ٱلنُّشُورُ.

2- أبين أدلة قدرة الله تعالى على البعث والحساب وأثر ذلك في تزكية نفسي.

الإعداد القبلي
نشاط أطلع من خلاله على الدرس الموالي وأجيب عن الأسئلة التي يوجهني إليها الأستاذ (ة)

كفايات تدريس مادة التفسير
بالسنة الثانية من التعليم الإعدادي العتيق

يسعى هذا الكتاب إلى تمكين المتعلم (ة) من تحقيق الكفايات الآتية:

- استيعاب مفردات ومضامين سور: فاطر، والحديد، والمجادلة.
- تعزيز مكتسباته في القضايا العقدية الواردة في السور المقررة، وتقوية علاقته بكتاب الله تعالى والامتثال لأحكامه ومضامينه.
- استنتاج بعض الأحكام الشرعية الواردة في السور المقررة.
- تنمية شخصيته من خلال التوجيهات القرآنية المتضمنة لآداب السلوك الاجتماعي القويم المبني على التسامح ونشر قيم الخير في المجتمع.
- الاعتبار بالقصص القرآنية وما تشتمل عليه من مقاصد وفوائد.
- ترسيخ ثوابت الإسلام العقدية والشرعية والأخلاقية في وعيه من خلال التعامل مع آيات القرآن الكريم المقررة وفهم مقاصدها المتعلقة بالوجود والكون والجود والحقوق.

التوزيع الدوري والأسبوعي

الدورة	الأسبوع	الدروس
الأولى	1	تقويم تشخيصي سورة فاطر (الآيات : 1 - 3)
	2	سورة فاطر (الآيات : 4 - 6)
	3	سورة فاطر (الآيات : 7 - 09)
	4	سورة فاطر (الآيتان : 10 - 11)
	5	سورة فاطر (الآيات : 12 - 14)
	6	سورة فاطر (الآيات : 15 - 18)
	7	سورة فاطر (الآيات : 19 - 26)
	8	فرض كتابي رقم: 1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	9	سورة فاطر (الآيتان : 27 - 28)
	10	سورة فاطر (الآيات : 29 - 31)
	11	سورة فاطر (الآيات : 32 - 35)
	12	سورة فاطر (الآيتان : 36 - 37)
	13	سورة فاطر (الآيات : 38 - 40)
	14	سورة فاطر (الآيات : 41 - 44)
	15	سورة فاطر (الآيتان : 45 - 46)
	16	فرض كتابي رقم 2
	17	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 - دعم وتثبيت

الدورة	الأسبوع	الدروس
الثانية	18	سورة الحديد (الآيات : 1 - 4)
	19	سورة الحديد (الآيات : 5 - 8)
	20	سورة الحديد (الآيات : 9 - 11)
	21	سورة الحديد (الآيات : 12 - 14)
	22	سورة الحديد (الآيات : 15 - 18)
	23	سورة الحديد (الآيات : 19 - 23)
	24	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	25	سورة الحديد (الآيات : 24 - 26)
	26	سورة الحديد (الآيتان : 27 - 28)
	27	سورة المجادلة (الآيات : 1 - 4)
	28	سورة المجادلة (الآيات : 5 - 7)
	29	سورة المجادلة (الآيات : 8 - 10)
	30	سورة المجادلة (الآيات : 11 - 13)
	31	سورة المجادلة (الآيات : 14 - 19)
	32	سورة المجادلة (الآيتان : 20 - 21)
	33	فرض كتابي رقم 2
	34	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 - دعم وتثبيت

الدرس

1

سورة فاطر (الآيات: 1-3)

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف مظاهر قدرة الله تعالى من خلال الآيات.

2 - أن أستنتج الغاية من تذكير الله تعالى عباده بنعمه.

3 - أن أشكر الله تعالى على نعمه العظيمة.

تمهيد

سورة فاطر مكية وآياتها ست وأربعون، وقد تضمنت الآيات موضوع الدرس القضايا الكبرى للعقيدة الإسلامية المتمثلة في توحيد الله تعالى وإقامة البراهين القاطعة على وجوده وقدرته في إبداع الكون، وخلق الملائكة وجعلهم وسائط بينه وبين أنبيائه لتبليغهم رسالاته ووحيه. ثم ذكّرت الناس بنعم الله ورحمته بهم، وحثتهم على شكره، بالتزام طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

فما هي الأدلة القاطعة على قدرة الله تعالى؟ وكيف يسهم استحضار عظمة الخالق في الاستجابة لأوامر الله تعالى ونواهيه وشكره على نعمه؟

الآيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ

وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (1) مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا

مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿2﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿3﴾ [سورة فاطر: 1-3]

الفهم

الشرح:

فَاطِرِ : الخالق ابتداء.

أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ: ذوي أجنحة.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هي الأدلة التي تضمنتها هذه الآيات؟

2 - بم ذكر الله تعالى عباده في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: من أدلة القدرة الإلهية:

افتتح الله سبحانه هذه السورة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ليؤذن بأن صفات عظيمة له سبحانه ستذكر فيها، وقد أثنى الله تعالى على ذاته بهذا الحمد تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه بأن يثنوا عليه بذلك، والألف واللام في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق، أي: جميع المحامد ثابتة له سبحانه.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «الْفَطْرُ: الابتداء والاختراع. قال ابن عباس: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَيْ أَنَا ابْتَدَأْتُهَا (...) والمراد بذكر السموات والأرض العالم كله، ونبه بهذا على أن من قدر على الابتداء قادر على الإعادة» [الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: 319/14].

وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين في أمر الله.

وقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي: ذوي أجنحة، والصفات التي بعدها للأجنحة، وهي غير منصرفة، والمانع لها من الصرف العدل والوصف، والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ الآية تتناول زيادات الصور والمعاني. «قيل: يعني حسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخط، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو تعالى قادر على ما يريد، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده، ولا يعجزه شيء.

ثانيا: التذكير بنعم الله على عباده:

ذكر الله تعالى عباده بنعمه عليهم، فقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ الفتح: عبارة عن العطاء، والإمساك: عبارة عن المنع. والإرسال: الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمنّ الله به على عباده من خيري الدنيا والآخرة، فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قوله:

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾، أي: «الغالب القادر على الإرسال والإمساك ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه» [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 9/13].

فإن قيل: لِم أنث الضمير في قوله: ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ وذكره في قوله: ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ وكلاهما يعود على ما الشرطية، فالجواب: أنه لما فسر ﴿مِن﴾ الأولى بقوله ﴿مِن رَّحۡمَةٖ﴾ أنثه لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير، و﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ فيه حذف مضاف، أي: من بعد إمساكه.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداء لقريش، ويعم الناس كافة، للفت انتباههم وإحضار حواسهم، لتلقي الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: «احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها» [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 4/253].

والمراد بـ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ كل ما أنعم الله به على عباده، مما ذكر في الآيات المتقدمة، إذ مهد لهم الأرض ورفع السماء فوقها لتيسير حياتهم، وأرسل الرسل والأنبياء لبيان السبيل لهم، وفتح لهم أبواب رزقه.

ثم أنكر الله تعالى أن يكون لغيره في ذلك مدخل، فقال سبحانه: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ الاستفهام هنا إنكاري بمعنى النفي، لذلك اقترن ما بعده بـ«من» التي تزاد لتأكيد النفي، ورفع ﴿غَيۡرُ﴾ على الصفة لخالق بالرفع تبعا للمحل، وبالخفض تبعا للفظ. قال القرطبي: «فالرفع من وجهين: أحدهما: بمعنى: هَلْ مِنْ خَالِقٍ إِلَّا اللهُ، بمعنى: مَا خَالِقٌ إِلَّا اللهُ.

والوجه الثاني: أن يكون نعتا على الموضع؛ لأن المعنى: هَلْ خَالِقٌ غَيْرُ اللهِ، و«من» زائدة. والنصب على الاستثناء، والخفض، على اللفظ» [الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 321/14].

وقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات. والمعنى: تذكير الناس بنعم الله تعالى وإقامة الحجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال ابن كثير، أي: «المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 2/ 24] ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ قال النسفي، معناه: «فبأي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 76/3].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى مقاصد عظيمة، منها:

- بيان جود الله تعالى وكمال إنعامه على عباده بأصناف النعم والأرزاق والأقوات التي أودعها سبحانه في السموات والأرض.

- إثبات وحدانية الله تعالى من خلال وصفه نفسه بالوحدانية والقدرة على خلق السموات والأرض وخلق الملائكة.

- بيان شمول خطاب الله تعالى للناس كافة دون تخصيص أو تقييد.

- أهمية حماية حقوق الناس من كل اعتداء، فلا معطي إلا الله ولا مانع إلا هو سبحانه، ومن هنا يتبين أن الإسلام اهتم بحقوق الإنسان التي هي غاية كل تشريع.

التقويم

1 - أستخرج من الآيات أدلة قدرة الله تعالى وعظمته.

2 - أستخلص من الآيات آلاء الله سبحانه على عباده.

3 - كيف أهتدي بهذه الآيات لتحقيق شكر الله تعالى؟

الاستثمار

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» [صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أستنتج من النص ما يفيد ضمان الله سبحانه لحقوق الناس.

2 - كيف يسهم ذلك في تزكية نفسي وتهذيبها؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **4 - 6** من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ٱلۡأُمُورُ - ٱلۡغَرُورُ - حِزۡبَهُۥ - ٱلسَّعِيرِ .

2- أبحث عن الأمور التي حذر الله من الاغترار بها، والغاية من هذا التحذير.

الدرس
2

سورة فاطر (الآيات: 4-6)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف وجوه اغترار الإنسان بالحياة الدنيا والشيطان.

2- أن أستدل على صدق رسالة النبي ﷺ.

3- أن أحذر الاغترار بما يزينه الشيطان من متع الحياة الدنيا.

تمهيد

بعد استدلال الله سبحانه في الآيات السابقة على قدرته وعظمته في الخلق والإبداع، جاءت هذه الآيات تسلي النبي ﷺ وتؤكد على صدق رسالته، وتذكر الناس بنعم الله عليهم وتحذرهم من الاغترار بوساوس الشيطان وحزبه الذين يدعون أتباعهم إلى عذاب النار.

فكيف سلى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآيات؟ ولماذا حذر عباده من الاغترار بالدنيا والشيطان؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿4﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ

﴿... الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ⑤ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾ [سورة فاطر: 4-6]

الفهم

الشرح:

الْأُمُورُ: جمع أمر، وهو الشأن والحال.

الْغَرُورُ: الشيطان، وقيل: التسويف.

حِزْبَهُ: شيعته وأتباعه.

السَّعِيرِ: النار المستعرة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم سلى الله تعالى رسوله ﷺ في الآيات؟

2- مم حذر الله تعالى عباده في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تسلية الرسول ﷺ والتأكيد على صدق رسالته:

بعد أن تضمنت آيات الدرس السابق الأصل الأول من أصول العقيدة الإسلامية، وهو التوحيد، نصت هذه الآيات على الأصل الثاني الذي هو الرسالة، فقال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه، كأنه يقول له: إن يكذبوك، فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كذبت

رسل من قبلك فنصرهم الله. قال: النسفي رحمه الله: «سلى رسوله، بأن له في الأنبياء قبله أسوة، ولهذا نكر ﴿رُسُلٌ﴾ أي: رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال، وأصحاب صبر وعزم؛ لأنه أسلى له. وتقدير الكلام: وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك؛ لأن الجزاء يتعقب الشرط، ولو أجري على الظاهر يكون سابقاً عليه، ووضع ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ موضع «فتأس» استغناء بالسبب عن المسبب، أي: بالتكذيب عن التأسي ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ كلام يشتمل على الوعد والوعيد، من رجوع الأمور إلى حكمه، ومجازاة المكذَّب والمكذِّب بما يستحقانه» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/77]

ثانيا: التحذير من غرور الدنيا وغرور الشيطان:

بعد الأصل الثاني من أصول العقيدة الإسلامية التي تضمنتها آيات العنصر الأول، نبهت هذه الآيات على أصل ثالث، وهو البعث والنشور، وبينت الآيات أنه حق، وموعظةٌ للمكذبين للرسول ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ «الوعد مصدر، وهو الإخبار عن فعل المخبر شيئا في المستقبل، والأكثر أن يكون فيما عدا الشر، ويخص الشر منه باسم الوعيد، يعمهما وهو هنا مستعمل في القدر المشترك» [التحرير والتنوير، لابن عاشور: 22/258]. والحق: يقابل الكذب، وإضافة الوعد إلى الله تعالى يشعر بكونه حقا؛ لأن الله سبحانه لا يأتي منه الباطل. والمعنى: إن وعد الله بالبعث والحشر والجزاء صدق لا شك فيه.

ثم حذرت هذه الآيات من الاغترار بما يوجب الخسران يوم القيامة، فقال عز وجل: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: فلا تلهينكم الحياة الدنيا ويذهلنكم التمتع بملذاتها عن طلب الآخرة والسعي لها. فغرور الحياة الدنيا هو اشتغال الإنسان بنعيمها وملذاتها عن عمل الآخرة؛ لأن إسناد التغرير إلى الحياة الدنيا، إسناد مجازي، ذلك أن الذي يغر

الإنسان هو نفسه التي انخدعت بملذات الحياة الدنيا ونعيمها. فهذا من باب إسناد الفعل إلى سببه.

بعد تحذيره تعالى من الاغترار بالحياة الدنيا، حذر من الاغترار بالشيطان ووساوسه، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ المقصود بـ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل التسويف، قال تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: 21]. والمعنى: لا يلهينكم الشيطان ويصرفنكم عن تصديق رسل الله تعالى وأنبيائه بإيهامكم بأن الله سيتجاوز عنكم لفضلكم، رغم ارتكابكم للمعاصي والذنوب. قال سعيد بن جبير: «الْغُرُورُ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ» [الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: 323/14].

و«الباء في قوله ﴿بِاللَّهِ﴾ للملابسة دخلت على مضاف محذوف، تقديره: بشأن الله. لأن فعل «غر» يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا أريد تعديته إلى بعض متعلقاته عدي إليه بواسطة حرف الجر، مثل باء الملابسة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]» [التحرير والتنوير: 259/22 (بتصرف)].

ثم بين الله تعالى عداوة الشيطان للبشر وحذرهم منه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: إن الشيطان عدو قديم لكم، بدليل تسببه في إخـراج أبيكم من الجنة، وهو يوسوس لكم ليضلكم، وقد أفصح الشيطان عن عداوته لبني آدم في آيـات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: 118] الآيـة. وقوله: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٥ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 15-16].

ثم حث الله تعالى عباده على اتخاذ الشيطان عدوا لهم، فقال سبحانه: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ قال ابن كثير رحمه الله، أي: «هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه

وكذبوه فيما يغركم به» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 534/6]. ثم وضح الله تعالى هدف الشيطان من إغواء أتباعه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ «إن» مكفوفة عن العمل بـ «ما»، لذلك وقع الفعل بعدها. ومعنى الآية: «إنما يقصد الشيطان أن يضلكم، حتى تدخلوا معه إلى عذاب جهنم المستعرة» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 534/6].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد متعددة، أهمها ما يأتي:

- إثبات الأصل الثاني من أصول العقيدة الإسلامية المتمثل في صدق رسالة النبي المصطفى ﷺ.

- التأكيد على أن كل أمور الخلائق وشؤونها مرجعها إلى الله تعالى، الذي سيقرر مصيرها يوم القيامة.

- أهمية تزكية الإنسان لنفسه بحثها على عدم الاغترار بالحياة الدنيا وملذاتها، وعدم الانسياق وراء شهواتها، واتباع خطوات الشيطان المؤدية إلى الهلاك وإلى الوقوع في نار السعير.

التقويم

1- ما الغاية من ذكر تكذيب الأمم السابقة للأنبياء والرسل؟

2- لماذا ربط الله تعالى بين غرور الحياة الدنيا وغرور الشيطان؟

3- ما الفرق بين الوعد والوعيد من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؟

الاستثمار

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا» [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله]. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَمَلَ ابْنِ آدَمَ وَأَجَلَهُ وَأَعْرَاضَ الدُّنْيَا التِى لَا تُفَارِقُهُ بِالْخُطُوطِ، فَجُعِلَ أَجَلُهُ الْخَطَّ الْمُحِيطَ، وَجُعِلَ أَمَلُهُ وَأَعْرَاضَهُ خَارِجَةً مِنْ ذَلِكَ الْخَطِّ، وَمَعْلُومٌ فِى الْعُقُولِ أَنَّ ذَلِكَ الْخَطَّ الْمُحِيطَ بِهِ الَّذِى هُوَ أَجَلُهُ ؛ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوطِ الْخَارِجَةِ مِنْهُ (...) وَفِى هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ عَلَى تَقْصِيرِ الْأَمَلِ، وَاسْتِشْعَارِ الْأَجَلِ خَوْفَ بَغْتَةِ الْأَجَلِ، وَمَنْ غُيِّبَ عَنْهُ أَجَلُهُ، فَهُوَ حَرِيٌّ بِتَوَقُّعِهِ وَانْتِظَارِهِ خَشْيَةَ هُجُومِهِ عَلَيْهِ فِي حَالِ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ» [شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 10/150(بتصرف)].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح العلاقة بين النص ومضامين الدرس.

2- كيف تسهم مضامين النص في تزكية نفسي وتهذيبها؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **7-9** من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: سُوٓءُ عَمَلِهِۦ - فَتُثِيرُ - بَلَدٖ مَّيِّتٖ - ٱلنُّشُورُ .

2- أبين أدلة قدرة الله تعالى على البعث والحساب وأثر ذلك في تزكية نفسي.

الدرس 3

سورة فاطر (الآيات: 7-9)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف قدرة الله تعالى على البعث والحساب.

2- أن أقارن بين جزاء الطائعين والعاصين يوم القيامة.

3- أن أهتدي بالمقاصد التي ترشد إليها الآيات.

تمهيد

بعد تحذير الله تعالى عباده من الاغترار بملذات الحياة الدنيا، ومن وساوس الشيطان، بين في هذه الآيات أن الناس فريقان: فريق اتبع الشيطان وكفر بالله تعالى فاستحق عذابه، وفريق آمن بالله وعمل صالحا فكان جزاؤه المغفرة والأجر العظيم. وفي هذه الآيات أرشد الله سبحانه نبيه ﷺ إلى عدم الحسرة والحزن على من أعرض عن رسالته وكذب بها، وبين سبحانه قدرته على البعث.

فكيف قارن الله تعالى بين الفريقين؟ وكيف أستدل على قدرة الله وعظمته انطلاقا من الآيات؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي

﴿...مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9)﴾

[سورة فاطر: 7-9]

الفهم

الشرح:

سُوءُ عَمَلِهِ: قبيح عمله.

فَتُثِيرُ : فتحرك بشدة.

بَلَدٍ مَّيِّتٍ: لا نبات فيه.

النُّشُورُ : البعث والحشر.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هو جزاء الكافرين والمؤمنين يوم القيامة؟

2 - عماذا نهى الله تعالى نبيه ﷺ في الآيات؟

3 - بماذا استدل الله تعالى على وقوع البعث؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: جزاء الكافرين والمؤمنين:

قسم الله عز وجل الناس إلى فريقين وبين جزاء كل منهما، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ هذا استئناف ابتدائي بمثابة النتيجة لما تقدم، فالذين كفروا هم حزب

الشيطان وجنوده، المستحقون لعذاب دائم شديد يوم القيامة. ونكر ﴿عَذَابٌ﴾ لتعظيم مدته، ثم ذكر الله تعالى جزاء ما يقابل هذا الفريق، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة التي ترضي الله، جزاؤهم يوم القيامة مغفرة الله تعالى لذنوبهم وإثابتهم الثواب العظيم.

وفي الآية وعيد لمن استجاب لوساوس الشيطان، ووعد لمن خالف أمره وعاداه ولم يكن من حزبه. وقد بنى الله تعالى الأمر كله على الإِيمان والعمل الصالح، فبهما يتمايز الناس يوم القيامة.

ثانيا: تسلية الله لنبيه ﷺ بعدم الحزن عمن زُين لهم سوء أعمالهم:

أرشد الله تعالى رسوله ﷺ إلى عدم الحزن عمن أعرض عنه وكذب بآيات ربه، فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ الاستفهام للإِنكار، وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله، كمن لم يزين له؟ فالذي زين له سوء عمله هو الذي أضله الله، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذي هداه الله، ودل على الحذف السابق قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ قال ابن عجيبة رحمه الله: «أي: فمَن أضله رأى الباطل حقًّا، فتبعه، ومَن هداه رأى الباطل باطلاً، فاجتنبه، والحق حقًّا فاتبعه»

[البحر المديد لابن عجيبة، 4/520].

ثم سلى الله تعالى نبيه ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي: فلا تهلك نفسك حسرات باغتمامك على الذين زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: إن الله تعالى عليم بما يفعل هؤلاء من الذنوب والمعاصي، ومجازيهم على ذلك.

ثالثا: أدلة القدرة الإلهية على وقوع البعث:

ولما كان من طبيعة الضالين عن طريق الهدى والصواب، إنكار وقوع البعث والنشور؛ لفت الله تعالى نظرهم إلى قدرته التامة على ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ أي: والله تعالى بقدرته هو الذي أطلق الرياح مؤذنة بنزول المطر ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: فتحرك سحابا كان ساكنا، وجيء بفعل الماضي في قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾ وغير إلى المضارع في قوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ للدلالة على الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ فجعلناها تسير إلى بلد لا نبات فيه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: فأحيينا به الأرض بعد أن كانت جدباء يابسة ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ معنى ﴿النُّشُورُ﴾: الحشر، أي: وكما أحيا الله تعالى الأرض الميتة؛ كذلك يحيي الأمواتَ ويبعثهم للحشر يوم القيامة.

رابعا: مقاصد الآيات:

تسعى هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية عديدة، منها:

- مجازاة الله تعالى عباده يوم القيامة بالقسط والعدل كل بما يستحق من خلال جوده على المؤمنين بجنات النعيم، وعقابه الكافرين بنار السعير.

- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ لعدم الحزن على من زين له سوء عمله وضل عن الطريق ليرشده سبحانه إلى نهج أسلوب الحكمة في دعوة الناس إلى الإسلام، وتبليغهم رسالته دون إلزامهم بقبول هذه الدعوة أو عدمها، فمهمته تقتصر على البلاغ، قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 45] وهذا منهج ينبغي للمسلم أن يلتزم به اقتداء بالرسول ﷺ.

- إثبات عظمة الله تعالى وقدرته على بعث الناس وحشرهم يوم القيامة، بدليل قدرته على إرسال الرياح وما تحركه من سحاب لينزل منه ماء يحيي الأرض بعد موتها؛ ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على البعث.

- الدعوة إلى التزكية وتهذيب النفس بالاستجابة لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والاستعداد بالأعمال الصالحة ليوم القيامة.

التقويم

1- أقارن بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين يوم القيامة.

2- لماذا نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن التحسر على الكافرين والمذنبين؟

3- أربط بين الآيات ومقاصدها الواردة في العنصر الرابع.

الاستثمار

ذكر فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ مسائل، منها: الْمَسْأَلَةُ الأُولَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ﴾ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَقَالَ: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ بِصِيغَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا أَسْنَدَ فِعْلَ الْإِرْسَالِ إِلَى اللَّهِ وَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ يَكُونُ بِقَوْلِهِ كُنْ فَلَا يَبْقَى فِي الْعَدَمِ لَا زَمَانًا وَلَا جُزْءًا مِنَ الزَّمَانِ، فَلَمْ يَقُلْ بِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ لِوُجُوبِ وُقُوعِهِ وَسُرْعَةِ كَوْنِهِ كَأَنَّهُ كَانَ وَكَأَنَّهُ فَرَغَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ قَدَّرَ الْإِرْسَالَ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَعْلُومَةِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْمُعَيَّنَةِ وَالتَّقْدِيرُ كَالْإِرْسَالِ، وَلَمَّا أَسْنَدَ فِعْلَ الْإِثَارَةِ إِلَى الرِّيحِ وَهُوَ يؤلف فِي زمان قال: ﴿فَتُثِيرُ﴾ أَيْ عَلَى هَيْئَتِهَا.

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 225/26]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- لماذا استعمل الله تعالى الفعل ﴿أَرْسَلَ﴾ بصيغة الماضي، وعطف عليه الفعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: **10- 11** من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **ٱلْعِزَّةَ - مَكْرُ - يَبُورُ - أَزْوَاجاً**.

2- أبحث عن أدلة وقوع البعث من خلال آيات الأنفس.

الدرس 4

سورة فاطر (الآيتان: 10-11)

أهداف الدرس

1- أن أتبين أسباب حصول العزة للإنسان.

2- أن أستنتج عاقبة الماكرين بالإسلام والمسلمين.

3- أن أزكي نفسي باستشعار دلائل القدرة الإلهية الواردة في الآيتين.

تمهيد

بعد بيان الآيات السابقة قدرة الله سبحانه على البعث والنشور، أشارت هاتان الآيتان إلى أوهام قريش، الذين كانوا يرون في اتباع الرسول ﷺ مذلة ومهانة، وتنقيصا من عزتهم التي كانوا يتمتعون بها، فقررت الآيتان أن العزة الحقيقية تكون لله سبحانه، ثم استدلت على قدرة الله العظيمة على البعث.

فلمن تكون العزة الحقيقية؟ وكيف استدلت الآيتان على وقوع البعث؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿10﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ [سورة فاطر: 10-11]

الفهم

الشرح:

ٱلْعِزَّةُ : الشرف والمنعة.

مَكْرُ : المكر: ما عُمِلَ على سبيل احتيال وخديعة.

يَبُورُ : يهلك ويكسد.

أَزْوَٰجاً : أصنافا أو ذكراناً وإناثا.

استخلاص مضامين الآيتين:

1 - لمن تكون العزة الحقيقية؟

2 - ما هي عاقبة من يمكر بالإسلام والمسلمين؟

3 - على ماذا استدل الله تعالى في نهاية الآيتين؟

التفسير

اشتملت الآيتان على ما يأتي:

أولا: العزة الحقيقية للّه سبحانه:

بين الله تعالى أن العزة الحقيقية تكون له وحده، فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ هذه الآية تحتمل ثلاثة معان:

أحدها: وهو الأظهر، من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله، فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعا، فالمغالب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ بيان لما تطلب به العزة، قيل: يعني لا إله إلا الله. واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم: فالعموم أولى.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾: يعود على الله تعالى، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى على هذا: أن الله يرفع العمل الصالح، أي: يتقبله ويثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا: لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب، وهذا يصح إن قلنا: إن الكلم الطيب هو: لا إله إلا الله؛ لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد.

والثالث: أن ضمير الفاعل: للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، وروي هذا المعنى عن ابن عباس، واستبعده ابن عطية، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة، أن الله يتقبل من كل مسلم. قال: وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

ثانيا: تآمر قريش على المسلمين:

بعد بيان الله تعالى الكلام الطيب، بين تآمر قريش على المسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله ﷺ، حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه. وفعل (مكر) لا يتعدى، فتأويله يمكرون المكرات السيئات، فتكون السيئات مصدرا، أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا.

والمعنى: والذين يمكرون المكرات السيئات بالمسلمين، ويتآمرون عليهم، لهم عذاب شديد يوم القيامة ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار الهلاك أو الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم.

ثالثا: إقامة الدليل على البعث ببدء خلق الإنسان:

في هاتين الآيتين، يقيم الحق سبحانه الدليل على البعث ببدء خلق الإنسان، فيقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: والله خلق أصلكم الذي هو آدم من تراب، ثم خلق ذريته من نطفة، وهو الماء الذي يلقى في رحم المرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: جعلكم أصنافا، وقيل: ذكرانا وإناثا، وهذا أظهر ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: وما تحمل أنثى، ولا تضع مولودها إلا بعلمه تعالى.

وتابع سبحانه ببيان قدرته العظيمة، فقال عز وجل: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير: طول العمر. والنقص: قصره. والكتاب: اللوح المحفوظ. فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على الشخص المعمر؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول وهو الصحيح: أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره، إلا في كتاب، فوضع من معمر موضع من أحد، وليس المراد شخصا واحدا، وإنما ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق.

والثاني: أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ، أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ» [المعجم الأوسط، للطبراني، باب الألف، من اسمه أحمد]؛ إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر: لو دعا الله لزاد في أجله، فأنكر الناس عليه، فاحتج بهذه الآية.

والثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص.

ثم بين الله تعالى أن ذلك يسير عليه، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قال ابن عجيبة رحمه الله، في معنى هذه الآية: إن «إحصاء الأعمار، أو زيادتها ونقصانها، سهل على علم الله وقدرته» [البحر المديد لابن عجيبة، 525/4].

رابعا: مقاصد الآيتين:

تسعى الآيتان إلى تحقيق مقاصد تربوية، منها:

- تقرير الله تعالى انفراده بالعزة، فالعزيز هو الذي أعزه الله.

- الدعوة إلى لزوم الحكمة في القول والعمل، ذلك أن الكلم الطيب والعمل الصالح هو الذي يقبل عنده سبحانه.

- بيان قدرته عز وجل في ابتداء خلق الإنسان بمراحل مختلفة، ليستدل بذلك على وقوع البعث وما بعده يوم القيامة.

التقويم

1 - ما علاقة الكلم الطيب والعمل الصالح بالعزة؟

2 - هل أثر مكر قريش بالإسلام والمسلمين؟ ولماذا؟

3 - أستدل من خلال آيات الأنفس على بعث الناس يوم القيامة؟

الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: «وَالْمَكْرُ: تَدْبِيرُ إِلْحَاقِ الضُّرِّ بِالْغَيْرِ فِي خُفْيَةٍ لِئَلَّا يَأْخُذَ حِذْرَهُ، وَفِعْلُهُ قَاصِرٌ. وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَضْرُورِ بِوَاسِطَةِ الْبَاءِ الَّتِي لِلْمُلَابَسَةِ، يُقَالُ: مَكَرَ بِفُلَانٍ، وَيَتَعَلَّقُ بِوَسِيلَةِ الْمَكْرِ بِبَاءِ السَّبَبِيَّةِ يُقَالُ: مَكَرَ بِفُلَانٍ بِقَتْلِهِ فَانْتِصَابُ السَّيِّئَاتِ هُنَا عَلَى أَنَّهُ وَصْفٌ لِمَصْدَرِ الْمَكْرِ نَائِبًا مَنَابَ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُبَيِّنِ لِنَوْعِ الْفِعْلِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَالَّذِينَ يمكرون الْمَكْرَ السيّء. وَكَانَ حَقُّ وَصْفِ الْمَصْدَرِ أَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43] فَلَمَّا أُرِيدَ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ لَهُمْ أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَكْرِ، عُدِلَ عَنِ الْإِفْرَادِ إِلَى الْجَمْعِ وَأُتِيَ بِهِ جَمْعَ مُؤَنَّثٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى الْفَعَلَاتِ مِنَ الْمَكْرِ، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ مَكْرِهِمْ هِيَ سَيِّئَةٌ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي لَفْظِ (صَالِحَةٍ) كَقَوْلِ جَرِيرٍ:

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صَالِحَةٌ *** مِنْ آلِ لَأْمٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

أَيْ صَالِحَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَأَنْوَاعُ مَكَرَاتِهِمْ هِيَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الْأَنْفَال: 30] ».

[التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 22/274].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح العلاقة بين الآيتين الواردتين في النص.

2- أبين سبب وصف المصدر المحذوف (المكر) بالجمع (السيئات).

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 12- 14 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: عَذْبٌ فُرَاتٌ - سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ - مِلْحٌ أُجَاجٌ - لَحْمًا طَرِيًّا - حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا - مَوَاخِرَ - قِطْمِيرٍ.

2- أبحث في معاني الآيات عما يدل على استحقاق الله وحده للعبادة.

الدرس 5

سورة فاطر (الآيات: 12-14)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف على المظاهر الكونية المضمنة في الآيات.

2- أن أستدل على استحقاق الله تعالى وحده للعبادة.

3- أن أشكر الله تعالى على نعمه التي حبانا بها.

تمهيد

بعد استدلال الآيات السابقة على تفرده سبحانه بالإلهية بآيات الأنفس، واصلت هذه الآيات استدلالها على ذلك بمظاهر أخرى من الظواهر الكونية، المتمثلة في البحار والليل والنهار والشمس والقمر، ثم أبطلت ما يعبده المشركون من دون الله، موضحة أن تلك المعبودات لا تنفع نفسها ولا غيرها.

فما هي مظاهر آيات الله الكونية الواردة في الآيات؟ وكيف أستدل من خلالها على استحقاق الله وحده للعبادة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿12﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ

ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿13﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿14﴾ [سورة فاطر: 12-14]

الفهم

الشرح:

عَذْبٌ فُرَاتٌ: شديد العذوبة.

سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ: مريء يسهل انحداره في الحلق.

مِلْحٌ أُجَاجٌ : شديد الملوحة.

لَحْمًا طَرِيًّا : السمك.

حِلْيَةً : اللؤلؤ والمرجان.

مَوَاخِرَ : جمع ماخرة وهي السفينة.

قِطْمِيرٍ : القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هي الآيات الكونية الواردة في الآيات؟

2 - علام استدل الله تعالى بتلك الآيات الكونية؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض مظاهر آيات الله الكونية:

بعد الاستدلال على وقوع البعث يوم القيامة، بين في هذه الآيات بعض الأدلة على قدرته وعظمته في خلقه الأشياء المختلفة مع اتحاد منفعتها للإنسان. فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: هذان البحران لا يتعادلان، أحدهما: فرات بالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والثاني: ملح يحرق بملوحته ويجمع إلى ذلك المرارة، والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

ثم بين سبحانه وجوه انتفاع الناس بالبحرين العذب والملح؛ فقال عز وجل: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هذا استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، أي: ومن كلا البحرين تأكلون سمكاً غضاً طرياً ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: وتستخرجون منهما الجوهر والمرجان للزينة والتحلي. فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب، فكيف قال: ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوّز في العبارة كما قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: 131] والرسل إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا.

الثالث: زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحس، أي: الواقع.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ «جمع ماخرة، يقال: مخرت السفينة. والمخر: شق الماء، وقيل: صوت جري الفلك بالرياح» [التسهيل: 423/1] ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: سخر لكم البحر لتبتغوا فضل الله بأنواع التجارات وغيرها، ولتشكروا ربكم على نعمه وفضله بأن سخر لكم ذلك.

ثم استمرت الآيات تعرض مظاهر قدرة الله تعالى في الآفاق، فقال سبحانه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلا منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر، أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل. [التسهيل: 2/140].

ثم بين سبحانه أنه سخر الشمس والقمر بقدرته وإرادته، فقال عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ذلَّل الشمس والقمر لصالح العباد. فكل منهما يسير في فلكه إلى يوم القيامة.

ثانيا: دليل استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره:

بعد بيانه تعالى مشاهد من تجليات قدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته، خاطب الناس بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: ذلكم الذي فعل الأمور المتقدمة، هو ربكم الذي لا رب سواه ولا معبود بحق إلا هو، له المُلك والعظمة والسلطان.

ثم بين سبحانه أن ما يعبده المشركون من دونه لا يستحق العبادة لأن تلك المعبودات فقيرة لا تملك شيئا، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ القطمير:

هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء كمقدار القطمير، فكيف أكثرها.

وقد عزز الله تعالى ضعف الأصنام وعجزها بقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ أي: إن تدعوا هذه المعبودات من دون الله، لا يسمعوا دعاءكم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم؛ لأنها جمادات لا حس لها، ولا قدرة لها على النفع ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل.

ونظير هذا، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (4) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 4-5]. وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (82) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 82-83]. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به، يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام تكفر يوم القيامة بمن عبدها.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات في عمومها إلى عدة مقاصد، منها:

- بيان فضل الله تعالى وإنعامه على عباده بمختلف أصناف النعم، فقد سخر سبحانه لعباده البحر وما يشتمل عليه من خيرات، وسخر لهم الليل والنهار، والشمس والقمر.

- الحث على إخلاص العبادة لله تعالى وحده دون سواه، إذ هو المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات الباطلة التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فضلا أن تملكه لغيرها.

التقويم

1 - أستنتج الغاية من امتنان الله تعالى على عباده بالنعم الواردة في الآيات.

2 - كيف أبطل الله تعالى عبادة المشركين لغيره؟

3 - أربط بين الآيات ومقاصدها الواردة في العنصر الثالث.

الاستثمار

قال الألوسي رحمه الله: «جاءَ في سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: 14] بِتَقْدِيمِ مَواخِرَ وَتَأْخِيرِ ﴿فِيهِ﴾ وَعُكِسَ هَهُنَا(...) وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي فِي ذَلِكَ أَنَّ آيَةَ النَّحْلِ سِيقَتْ لِتَعْدَادِ النِّعَمِ كَمَا يُؤْذِنُ بِذَاكَ سَوَابِقُهَا وَلَوَاحِقُهَا، وَتَعْقِيبُ الآيَاتِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18] فَكَانَ الْأَهَمُّ هُنَاكَ تَقْدِيمَ مَا هُوَ نِعْمَةٌ وَهُوَ مَخْرُ الْفَلَكِ لِلْمَاءِ، بِخِلَافِ مَا هُنَا، فَإِنَّه إِنَّمَا سِيقَ اسْتِطْرادًا أَوْ تَتِمَّةً لِلتَّمْثِيلِ (...) فَقَدَّمَ فيه ﴿فِيهِ﴾ إيذانا بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ ذَلِكَ، وَكَأَنَّ الاهْتِمَامَ بِمَا هُنَاكَ اقْتَضَى أَنْ يُقَالَ فِي تِلْكَ الْآيَةِ ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ بالواو، وَمُخَالَفَةُ مَا هُنَا لِذَلِكَ اقْتَضَتْ تَرْكَ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ من فَضْلِهِ أَيْ: مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى بِالنَّقْلَةِ فِيهَا».

[روح المعاني، الألوسي: 11 / 353(بتصرف)]

أَتَأَمَّلُ النَّصَّ وَأُجِيبُ عَنِ الْآتِي:

- أُقَارِنُ بَيْنَ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَسُورَةِ فَاطِرٍ، بِخُصُوصِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ... ﴾ مَعَ التَّعْلِيلِ.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **15- 18** من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ** – **ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** – **تَزَكَّىٰ** – **لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ** – **وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ**.

2- أنجز بحثا يتضمن مظاهر العدالة الإلهية بين العباد يوم القيامة من خلال هذه الآيات.

الدرس
6

سورة فاطر (الآيات: 15-18)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مظاهر غنى الله تعالى وعدله المطلق بين عباده.

2- أن أستنتج أسباب الانتفاع برسالة النبي ﷺ.

3- أن أستجيب لدعوة النبي ﷺ لأحظى بصفات المؤمنين.

تمهيد

لما توهم أصحاب الضلال بأنهم مرغوب في انضمامهم إلى المسلمين، وأحدث ذلك فيهم عزة وإعجابا بأنفسهم، ذكَّرهم الله سبحانه بحاجتهم إليه، واستغنائه جل وعلا عن جميع خلقه، مع استحقاق الطائعين لحمده سبحانه وإنعامه، ثم بين سبحانه عدله المطلق بين عباده يوم القيامة، فلا تتحمل النفوس المذنبة إلا مقدار ما ارتكبت من المعاصي، ليقرر في نهاية هذه الآيات أن المؤمنين هم الذين ينتفعون بدعوة الرسول ﷺ.

فما هي مظاهر عدل الله تعالى بين عباده؟ وكيف أزكي نفسي من خلال هذه الآيات؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿15﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿16﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿17﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿18﴾﴾

[سورة فاطر: 15-18]

الفهم

الشرح:

الْفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ: المحتاجون إليه في كل حال.

الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ : الغني عن سائر خلقه، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره.

مُثْقَلَةٌ : أي مثقلة بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة.

لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ : لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها.

تَزَكَّىٰ : طهّر نفسه من الشرك والمعاصي.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم وصف الله تعالى نفسه في بداية الآيات؟

2 - بماذا وعد الله عباده يوم القيامة في هذه الآيات؟

3 - من ينتفع بإنذار الرسول ﷺ؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: غنى الله تعالى عن خلقه غنى مطلقا:

بعد عرض الأدلة والحجج التي تقرر تفرد الله تعالى بالعبادة، وأنه هو وحده المستحق

لها، نادى سبحانه الناس بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ وهو خطاب لجميع الناس، وإنما عرف الفقر بالألف واللام؛ ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقراء الناس أعظم.

ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر، ووصفه بأنه الحميد ليدل على وجوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده. فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ تفيد قصر صفة على موصوف، أي: قصر صفة الفقر على الناس، والمعنى: أن الناس مفتقرون إلى الله سبحانه، وهو غير مفتقر إليهم. وفي إتباع صفة ﴿الْغَنِيُّ﴾ بـ ﴿الْحَمِيدُ﴾ دفع توهم الناس بأنهم غير مطالبين بعبادة الله تعالى بسبب كونه غنيا عنهم، إذ نبههم سبحانه بأنه يحمد من يجيب دعوته ويتوجه إليه بالعبادة.

ثم قرر سبحانه إمكانية استغنائه عن الخلق، بقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: لو شاء تعالى لأفناكم وأتى بقوم آخرين يعبدونه وحده دون سواه ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ عزيز: ممتنع غالب، أي: لا يتعذر ولا يتعسر على الله سبحانه إهلاككم والإتيان بخلق سواكم، بل هو سهل يسير عليه سبحانه.

وقد وقعت هاتان الآيتان موقع البيان لجملة ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وحُذف مفعول ﴿يَشَأْ﴾ لدلالة جواب الشرط عليه، وهو ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ والتقدير: إن يشأ إذهابكم.

ثانيا: وعد الله تعالى عباده بالعدل بينهم يوم القيامة:

لما كان مقصد الآيات السابقة، تهديد الناس بالهلاك وتبديلهم بخلق جديد، طمأنهم سبحانه، بأنه سيحكم بينهم يوم القيامة بمنتهى العدل، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ «معنى ﴿تَزِرُ﴾ تحمل، ومعنى ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: ذنب نفس أخرى. وأصل الوِزر في

اللغة: الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، والمعنى: لا يحمل أحد ذنوب أحد» [التسهيل: 1/ 283 و 443].

وجيء بالوازرة على التأنيث؛ لأن المقصود بها النفس المرتبطة باكتساب الأعمال كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 166] وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38].

ثم بين سبحانه أن عدله هذا مستمر حتى لو استنجدت نفس مثقلة بالذنوب والمعاصي، وطالبت من يتحمل ذلك عنها، لم تجد من يحمل عنها شيئا، قال عز وجل: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الحمل: عبارة عن الذنوب، والمثقلة: الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب، والمعنى: أنها لو دعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها. وحذف مفعول ﴿وَإِن تَدْعُ﴾ لدلالة المعنى وقصد العموم، وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: 15].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ المعنى: ولو كان المدعوّ ذا قرابة ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل عنه شيئا؛ لأن كل واحد يقول: نفسي نفسي.

ثالثا: انتفاع المؤمنين بدعوة الرسول ﷺ:

بين الله سبحانه لرسوله ﷺ من ينتفع بدعوته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار. وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في يخشون أي: يخشون ربهم في خلواتهم وهم غائبون عن الناس، فخشيتهم حق لا رياء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: «حافظوا عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها وأركانها وفضائلها وسننها وحضور القلب والخشوع

فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل» [التسهيل: 1 / 70].

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: ومن تطهر من الشرك وأدناس المعاصي فإنما ثمرة ذلك التطهر عائدة على نفسه، وهذه جملة اعتراضية، تؤكد خشيتهم وإقامتهم الصلاة لأن إقامة الصلاة تزكي نفس الإنسان ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ «التعريف في ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ للجنس، أي: المصير كله إلى الله، سواء فيه مصير المتزكي، ومصير غير المتزكي، أي: وكل يجازى بما يناسبه» [التحرير والتنوير، لابن عاشور: 22/ 292].

رابعا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات مقاصد تربوية متعددة، منها:

- بيان اتصاف الله تعالى بصفات الكمال، ومنها صفة الغنى المطلق عن عباده.

- وصف الله تعالى نفسه بأنه الحميد، يدل على أنه الغني النافع عباده بغناه؛ إذ الغني لا ينفع إلا إذا كان جوادا منعما. فإذا جاد على المنعَم عليهم حمدوه، وهذا يبين كرم الله تعالى وجوده على من عبده واستجاب لدعوته.

- التأكيد على العدالة الإلهية المطلقة في القضاء بين العباد يوم القيامة، فلا يعاقب يومئذ إلا المذنبون.

- خشية الله تعالى وإقامة الصلاة من أسباب الانتفاع بدعوة النبي ﷺ، ونيل مرضاة الله تعالى.

- تسلية النبي ﷺ، والتأكيد على أن مهمته تقتصر على البلاغ. وهذا مما ينبغي أن يقتدي به العلماء والمرشدون والخطباء والوعاظ.

التقويم

1 - ما الغاية من وصف الله تعالى نفسه بـ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ بعد صفة ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾؟

2 - أستنتج من الآيات عدل الله تعالى بين عباده يوم القيامة.

3 - هل الإنذار مقصور على المؤمنين في الآيات؟ ولماذا؟

الاستثمار

«وَوَجْهُ مَا اقْتَضَتْهُ الْمُبَالَغَةُ مِنْ لَوْ الْوَصْلِيَّةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، [عبس: 34 - 35] أَنَّ ذَا الْقُرْبَى أَرَقُّ وَأَشْفَقُ عَلَى قَرِيبِهِ، فَقَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ يُغْنِي عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ يُقَاسِمَهُ الثِّقَلَ الَّذِي يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْعَذَابِ فَيَخِفُّ عَنْهُ الْعَذَابُ بِالِاقْتِسَامِ. وَالْإِطْلَاقُ فِي الْقُرْبَى يَشْمَلُ قَرِيبَ الْقَرَابَةِ كَالْأَبَوَيْنِ وَالزَّوْجَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: 34-35].

وَهَذَا إِبْطَالٌ لِاعْتِقَادِ الْغَنَاءِ الذَّاتِيِّ بِالتَّضَامُنِ وَالتَّحَامُلِ فَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقِيسُونَ أُمُورَ الْآخِرَةِ على أُمُورِ الدُّنْيَا، فَيُعَلِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِذَا هُدِّدُوا بِالْبَعْثِ بِأَنَّهُ إِنْ صَحَّ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ شُفَعَاءَ وَأَنْصَارًا. فَهَذَا سِيَاقُ تَوْجِيهِ هَذَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ هُوَ بِعُمُومِهِ يَنْسَحِبُ حُكْمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ، فَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ إِثْمَهُ. وَهَذَا لَا يُنَافِي الشَّفَاعَةَ الْوَارِدَةَ فِي الْحَدِيثِ (...) فَإِنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى إِظْهَارًا لكرامة نبيئه مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا يُنَافِي مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ من مكفّرات للذنوب، كَمَا وَرَدَ أَنَّ أَفْرَاطَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْفَعُونَ لِأُمَّهَاتِهِمْ، فَتِلْكَ شَفَاعَةٌ جَعْلِيَّةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ كَرَامَةً لِلْأُمَّهَاتِ الْمُصَابَةِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ». [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 22/290 (بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- كيف يتم التوفيق بين عدم نفع القريب أقاربه يوم القيامة، وبين ما ورد في أدلة الشفاعة؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 19- 26 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ٱلْحَرُورُ - أُمَّةٍ – نَذِيرٌ - وَبِالزُّبُرِ.

2- أبحث عن أوجه المقارنة بين الفريقين الواردين في الآيات مع استحضار القواعد اللغوية.

الدرس 7

سورة فاطر (الآيات: 19-26)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الغاية من بعث الله تعالى في كل أمة من يبشرهم وينذرهم.

2- أن أقارن بين الفريقين الواردين في الآيات.

3- أن أقتدي بمنهج دعوة الرسول ﷺ الوارد في الآيات.

تمهيد

بعد بيان الله تعالى أنه لا ينتفع بنذارة الرسول ﷺ إلا المؤمنون، ضرب سبحانه في هذه الآيات أربعة أمثال للفريقين، تكشف عن اختلاف حاليهما. وروعي في هذه الأشباه توزيعها على صفة الكافر والمؤمن، وعلى حالة الكفر والإيمان، وعلى أثر الإيمان وأثر الكفر؛ ثم أكدت الآيات على صدق رسالة الإسلام، وأبطلت شبه المعاندين المكذبين.

فكيف قارن الله تعالى بين الفريقين؟ وما الذي يدل على صدق الرسالة الإسلامية؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ⑲ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ⑳ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ㉑ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ㉒ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ㉓ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا

نَذِيرٌ ﴿24﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿25﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿26﴾ [سورة فاطر: 19-26]

الفهم

الشرح:

ٱلْحَرُورُ: شدة الحر بالنهار والليل.

أُمَّةٍ : جماعة يجمعهم نسب واحد.

نَذِيرٌ : منذر تخوف الناس من عذاب الله.

بِٱلزُّبُرِ : الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم وموسى.

استخلاص مضامين الآيات:

1- من هما الفريقان اللذان قارن الله بينهما في الآيات؟

2- من صدقت الآيات؟ وماذا أبطلت؟

3- ما الغرض من ذكر الآيات تكذيب الأمم السابقة لرسلهم؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: مقارنة بين المؤمنين وغيرهم:

ضرب الله تعالى في هذه الآيات أمثلة للكافر والمؤمن، وأنهما لا يستويان، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الأعمى والبصير، تمثيل للمؤمن والكافر،

والمعنى: أن الكافر الذي عمي عن إدراك الحق، وما جاء به الرسول ﷺ، لا يستوي مع المؤمن البصير الذي آمن بالله سبحانه واهتدى بهدي رسوله ﷺ.

«وقدمت الآيات تشبيه حال الكفار على حال المؤمنين، لأن الغرض الأهم من هذا التشبيه هو بيان فظاعة الكفر، ذلك أن هذا التشبيه جيء به لتوضيح القصر في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: 18] كما تقدم في الدرس السابق، وشبه الكافر بالأعمى في اختلاط أمره بين العقل والجهالة، كما يختلط أمر الأعمى بين الإدراك وعدمه.

ثم شبه الله تعالى حال المؤمن وغيره بحال الظلمات والنور، فقال سبحانه: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ أي: لا تستوي ظلمة الكفر، ولا نور الإيمان. وشبه الكفر بالظلمات لأن من خصائص الظلمة إخفاء الأشياء، وقد خفيت عن الكافر الحقائق الاعتقادية، فكلما بينها له القرآن لم تتضح له، كما لو وصفت الطريق للسائر في الظلام».

[التحرير والتنوير، لابن عاشور: 22/292 (بتصرف)].

وكذلك لا يستوي الظل والحرور، قال تعالى: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ وهو تمثيل للثواب والعقاب وقيل: الظل: تمثيل للجنة، والحرور تمثيل للنار. والحرور في اللغة: شدة الحر بالنهار والليل، والسموم بالنهار خاصة. والمعنى: لا يستوي الظل البارد (جزاء الإيمان) مع الحرور (جزاء الكفر والمعاصي).

وقد «شبه حال المؤمن بالظل، لما يسببه من اطمئنان النفوس وهدوئها، وما ينتج عن ذلك من أعمال وقرارات صادرة عن تبصر وتريث؛ ولما كانت حال الكافر ونفسيته

مضطربة في أمور العقيدة والتوحيد، شبه بالحرور الذي ترتبك فيه النفوس وتصدر فيه الآراء معجلة ومتفككة» [التحرير والتنوير، لابن عاشور: [22/293 (بتصرف)].

ثم شبه الله تعالى حال المؤمن وغيره بحال الأحياء والأموات، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ وهذا أبلغ مما قبله لتكرير الفعل، وزيادة ﴿لَا﴾ لتأكيد معنى النفي، وهو تمثيل لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت، أي: لا يستوي من كان قلبه حيا بالإيمان، مع من مات قلبه بالكفر.

ثانيا: دلائل صدق الرسالة النبوية وإبطال شبه المنكرين:

بعد تشبيه الله تعالى حال المؤمنين والكافرين بما سبق، أعقب ذلك بتوجيه خطاب إلى النبي ﷺ ليعذره في عدم قبول رسالته لدى أحد الفريقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل: المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة، لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم، وإنما بعثت للأحياء.

ثم أثنى الله تعالى على نبيه ونوه به وبالإسلام فقال سبحانه: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: ما أنتَ إلا رسول، كلفت بإنذار الناس من عذاب جهنم، ولست مكلفا بهدايتهم؛ لأن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ المعنى: بعثناك بالهدى ودين الحق، بشيرا للمؤمنين بأن لهم الجنة، ونذيرا للكافرين المكذبين بأن لهم النار والعذاب الأليم.

والآية تدفع توهم قصر النبي ﷺ على النذارة قصرا حقيقيا، وتبين أن قصره على النذارة بالنسبة لمن ماتت قلوبهم وأشبهوا أصحاب القبور؛ وتؤكد أن الرسول ﷺ يجمع في رسالته بين النذارة والبشارة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء: 105].

ثم بين سبحانه أنه لم تخل أمة من نذير ينذرهم، ويوضح لهم رسالته. قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة.

فإن قيل: كيف لم تخل أمة من نذير وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة؟ ألا ترى أن بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي؟

فالجواب: أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [السجدة: 2] فالجواب: أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم، وأيضا فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أن نبوة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار، لكونهم لم يتقدم من ينذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

«وقد اقتصر في الآية على وصف النذير دون وصف البشير، مراعاة للعموم الوارد فيها، ذلك أن بعض الأمم لم تحصل لهم بشارة لأنه لم يؤمن منهم أحد، ففي حديث ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ،

وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ» [صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب] [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 22/297].

ثالثا: تسلية الرسول ﷺ على تكذيب قومه له:

بعد ثناء الله تعالى على نبيه ﷺ، أتبع ذلك بتسليته على تكذيب قومه، فقال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: وإن يكذبك من أشرك من قومك، فقد كذب الذين من قبلهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ «حال، وقد مضمرة ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ وبالصحف ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: التوراة، والإنجيل، والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا، وإن كان بعضها في جميعهم، وهي البينات، وبعضها في بعضهم، وهي الزبر والكتاب، وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾ عاقبت ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأنواع العقوبة» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/85].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فَكَيْفَ إنكاري، يعني: عقوبة الكفار المتقدمين [التسهيل: 2/168].

رابعا: مقاصد الآيات:

تدل الآيات على مقاصد تربوية جليلة، منها:

- ربط الجزاء بجنس العمل، إذ قارنت الآيات بين فريقين من الناس، فريق آمن

بالله واستجاب لرسالته وأطاع أمر ربه، فاستحق الثواب، وفريق عاند وكذب بآيات الله وما جاء به أنبياؤه ورسله فاستحق بذلك العذاب.

- التأكيد على صدق رسالة النبي ﷺ، وأن مهمته تقتصر على البشارة والنذارة.

- بيان أن الله سبحانه وتعالى هو من يتولى الهداية لمن يشاء من عباده.

- بيان لمنهج أصيل في الدعوة الإسلامية، وإرشاد للعلماء والمصلحين وحث لهم على الاقتداء بهذا المنهج النبوي ليوجهوا خطابهم إلى الناس مبشرين ومنذرين بالحكمة والموعظة الحسنة.

- الحكمة من الإنذار هي أن لا يبقى الضلال رائجا، وأن يرشد الناس إلى الحق والطريق المستقيم، وفي هذا تتجلى رحمة الله تعالى بعباده.

التقويم

1- ما هي أوجه الاختلاف بين الفريقين المذكورين في الآيات؟

2- لماذا اقتصر على ذكر النذارة في الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؟ وكيف يمكن الجمع بينها، وبين قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: 2] ؟

3- ما هي الغاية من بعثة الأنبياء والرسل؟ وما علاقة ذلك بمقاصد الآيات؟

4- كيف أقتدي بالرسول ﷺ في منهجه الدعوي؟

الاستثمار

«فَإِنْ قُلْتَ قَابَلَ الْأَعْمَى بِالْبَصِيرِ بِلَفْظِ الْمُفْرَدِ وَكَذَلِكَ الظِّلُّ بِالْحَرُورِ وَقَابَلَ الْأَحْيَاءَ بِالْأَمْوَاتِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، وَقَابَلَ الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ فِي أَحَدِهِمَا وَالْوَاحِدِ فِي الْآخَرِ، فَهَلْ تَعْرِفُ فِيهِ حِكْمَةً؟ قُلْتُ: نَعَمْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَهِدَايَتِهِ، أَمَّا فِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالظِّلِّ وَالْحَرُورِ، فَلِأَنَّهُ قَابَلَ الْجِنْسَ بِالْجِنْسِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَفْرَادَ لِأَنَّ فِي الْعُمْيَانِ (وَأُولِي الْأَبْصَارِ قَدْ يُوجَدُ فَرْدٌ مِنْ أَحَدِ الْجِنْسَيْنِ يُسَاوِي فَرْدًا مِنَ الْجِنْسِ الْآخَرِ كَالْبَصِيرِ الْغَرِيبِ فِي مَوْضِعٍ وَالْأَعْمَى الَّذِي هُوَ تَرْبِيَةُ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَقَدْ يَقْدِرُ الْأَعْمَى عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَقْصِدٍ وَلَا يَقْدِرُ الْبَصِيرُ عَلَيْهِ، أَوْ يَكُونُ الْأَعْمَى عِنْدَهُ مِنَ الذَّكَاءِ مَا يُسَاوِي بِهِ الْبَلِيدَ الْبَصِيرَ، فَالتَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا فِي الْجِنْسَيْنِ مَقْطُوعٌ بِهِ فَإِنَّ جِنْسَ الْبَصِيرِ خَيْرٌ مِنْ جِنْسِ الْأَعْمَى، وَأَمَّا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ فَالتَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ، إِذْ مَا مِنْ مَيِّتٍ يُسَاوِي فِي الْإِدْرَاكِ حَيًّا مِنَ الْأَحْيَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْأَحْيَاءَ لَا يُسَاوُونَ الْأَمْوَاتَ سَوَاءٌ قَابَلْتَ الْجِنْسَ بِالْجِنْسِ أَوْ قَابَلْتَ الْفَرْدَ بِالْفَرْدِ، وَأَمَّا الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ فَالْحَقُّ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَالْبَاطِلُ كَثِيرٌ وَهُوَ طُرُقُ الْإِشْرَاكِ، عَلَى مَا بَيَّنَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَبَعْضَهُمُ النَّارَ وَبَعْضَهُمُ الْأَصْنَامَ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَفْرَادِ وَبَيْنَ هَذَا الْوَاحِدِ بَيِّنٌ». [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 233/26]

أتأمل النص وأبين الحكمة من استعمال الإفراد والجمع في الآيات.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: **27- 28** من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا – جُدَدٌۢ – غَرَابِيبُ – يَخْشَى**.

2- أبحث في الآيتين عن مظاهر قدرة الله وعلاقتها بخشيته سبحانه.

الدرس 8

سورة فاطر (الآيتان: 27-28)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف قدرة الله في خلق الأصناف المختلفة من الشيء الواحد.

2- أن أستنتج من الآيتين ما يؤدي إلى خشية الله تعالى.

3- أن أهتدي بما جاء في الآيتين في تقوية إيماني بالله تعالى.

تمهيد

بعد تناول الآيات السابقة اختلاف أحوال المؤمنين وغيرهم في قبول الهدى ورفضه، بين الله تعالى في هاتين الآيتين بعض المشاهد الكونية المختلفة الأشكال والألوان، للدلالة على قدرة الله العظيمة؛ لتقرر أن خشية الله تعالى تعظم عند العلماء.

فأين تتجلى قدرة الله تعالى من خلال الآيتين؟ وكيف تورث معرفة ذلك خشية الله تعالى؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿27﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿28﴾﴾ [سورة فاطر: 27-28]

الفهم

الشرح:

مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا : ثمرات مختلفة الألوان والأشكال.

جُدَدُۢ : جمع جُدَّةٍ وهي الخطط والطرائق في الجبال.

غَرَابِيبُ : جمع غربيب، وهو: اسم للشيء الأسود الحالك سواده.

يَخۡشَى : يخاف.

استخلاص مضامين الآيتين:

1- ما هي تجليات قدرة الله تعالى من خلال الآيتين ؟

2- من أشد الناس خشية لله تعالى؟

التفسير

اشتملت الآيتان على ما يأتي:

أولا: قدرة اللّه على خلق الأشياء المختلفة من الشيء الواحد:

نبه الله تعالى عباده إلى قدرته العظيمة على خلق الأشياء المختلفة، من الشيء الواحد، وهو الماء المنزل من السماء، فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ «هذه الرؤية رؤية القلب والعلم، أي: ألم ينته علمك ورأيت بقلبك أن الله أنزل؟ فـ ﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الرؤية» [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 14/ 341]. ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا﴾ المعنى: فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفة الألوان، يريد الصفرة

والحمرة، وغير ذلك من الألوان، وقيل: يريد الأنواع، والأول أظهر؛ لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك.

وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار. وفيه ردّ على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد.

ونصب ﴿مُّخْتَلِفًا﴾ نعتا لـ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ورفعت ﴿أَلْوَانُهَا﴾ بمختلف، وجيء بالجملتين الفعليتين في ﴿أَنزَلَ﴾ و﴿أَخْرَجْنَا﴾ للدلالة على أن إنزال الماء وإخراج الثمرات متجدد ومستمر. «وجرد مختلفا من علامة التأنيث مع أن فاعله جمع، وشأن النعت السببي أن يتبع مرفوعه (ألوان) في التذكير والتأنيث لأنه لما كان الفاعل جمعا لما لا يعقل، وهو الألوان؛ كان حذف التاء في مثله جائزا في الاستعمال» [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 22/301].

بعد ذكر اختلاف الثمرات عرض سبحانه للاختلاف الواقع في الجبال، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ جُدَدٌ جمع جُدَّةٍ، وهي الخطط والطرائق في الجبال.

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ غرابِيبُ، جمع غربيب، وهو الشديد السواد. وقدم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد، ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب.

ثم قرر سبحانه بأن هذا الاختلاف ينسحب كذلك على الناس والدواب والأنعام، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ تتعلق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بما قبلها فيتم الوقف عليها، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، مثل الجبال المختلف ألوانها، والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته.

«وجيء في جملة ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ وجملة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ بالاسمية دون الفعلية، كما في الجملة السابقة؛ لأن اختلاف ألوان الجبال والحيوان الدال على اختلاف أحوال الإيجاد؛ اختلاف دائم لا يتغير، وإنما يحصل مرة واحدة عند الخلق، وعند تولد النسل» [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 22/303].

ثانيا: العلماء أشد الناس خشية لله تعالى:

لما بين الله تعالى قدرته والآثار الدالة على عظمته، أتبع ذلك ببيان أولى الناس بخشيته من عباده، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يعني: العلماء بالله وصفاته وشرائعه، علما يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فلذلك خص العلماء بالخشية.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ «تعليل لوجوب الخشية؛ لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم. والمعاقب المنيب حقه أن يخشى»

[مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/87].

ثالثا: مقاصد الآيتين:

تقرر هاتان الآيتان مقاصد تربوية جليلة، منها:

- بيان قدرة الله تعالى ووحدانيته من خلال مشاهد الكون المختلفة الأجناس والأنواع.
- بيان إنعام الله تعالى وجوده على عباده بثمار مختلفة الألوان والمنافع.
- الحكمة من تعداد النعم المتجلية في آيات الله الكونية إثارة الخشية في قلوب العباد.

- تسلية الرسول ﷺ وإرشاده إلى أن خلق الله متنوع ومختلف، فمنهم من يستجيب لشرع الله تعالى، ومنهم من يعاند ويستكبر، فما على الرسول ﷺ إلا البلاغ.

التقويم

1- أستنتج الحكمة من خلق الله تعالى ثمرات مختلفة.

2- علام يدل التعبير بالجمل الفعلية والجمل الاسمية في هاتين الآيتين؟

3- ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]؟

4- ما العلاقة بين الآيتين والمقاصد الواردة في العنصر الثالث؟

الاستثمار

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَّ الْفَقِيهِ، مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ، وَلَا قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا» [سنن الدارمي: باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله].

أتأمل النص وأستنتج الأسلوب الأمثل لإرشاد الناس.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 29- 31 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: تَبُورَ - لِيُوَفِّيَهُمْ - لَخَبِيرٌ - وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ.

2- أبحث عن صفات المستحقين للثواب العظيم الوارد في الآيات.

الدرس
9

سورة فاطر (الآيات: 29-31)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الغاية من ذكر صفات العلماء العاملين في الآيات.

2- أن أستنتج أنواع الأعمال الصالحة من الآيات.

3- أن أحرص على تلاوة القرآن الكريم وأمتثل لتوجيهاته.

تمهيد

بعد بيان الله سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين أن العلماء هم أولى الناس بخشيته، جاءت هاته الآيات لتنوّه بالعلماء الذين استجابوا للدعوة النبوية وداوموا على تلاوة القرآن الكريم المنزل من عند الله، والمصدق لما قبله من الكتب.

فما هي صفات العلماء التي تضمنتها الآيات؟ وما جزاؤهم عند الله تعالى؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿29﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿30﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿31﴾﴾ [سورة فاطر: 29-31]

الفهم

الشرح:

تَبُورَ : تكسد وتهلك.

لِيُوَفِّيَهُمْ : ليجزيهم الجزاء الأوفى.

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ: ويضاعف الله لهم أجورهم تفضلا منه سبحانه.

لَخَبِيرٌ : الخبير: العالم بدقائق الأمور.

استخلاص مضامين الآيات:

1- على من أثنى الله سبحانه في هاته الآيات ؟

2- ما الغاية من تأكيد الله تعالى على صدق القرآن الكريم؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: ثناء اللّه تعالى على العلماء العاملين:

لما أشار الله تعالى إلى اتصاف العلماء بعمل قلبي وهو الخشية في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] أشار في هذه الآيات إلى عمل اللسان وعمل الجوارح وإلى الإنفاق، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدوها على الوجه الأكمل، وهذه إشارة إلى عمل الجوارح ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: وتصدقوا بأموالهم سرا وعلانية، وهذه إشارة إلى الإنفاق.

وقوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ هذه الجملة خبر «إن» ويعني بالتجارة طلب الثواب، ومعنى ﴿لَّن تَبُورَ﴾ لن تكسد.

وقوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور: هو ما يستحقه المطيع من الثواب، والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة النظر إلى وجه الله. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء: 172] وقوله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (36) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النور: 36 - 37].

وختم الله تعالى هذا الوعد بما يحققه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لذنوبهم وسيئاتهم، شكور لحسناتهم.

ثانيا: تثبيت فؤاد النبي ﷺ:

للتأكيد على صدق القرآن الكريم، والرد على من أنكره، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: «القرآن، و(من) للتبيين ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة؛ لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فَعَلِمَكَ وأبصر أحوالك، ورآك أهلاً لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز، الذي هو عِيَار على سائر الكتب». [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/88].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها:

- إثبات صدق القرآن الكريم، الذي يثبت وحدانية الله تعالى، وتصديق كل ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ.

- ثناء الله سبحانه على العلماء العاملين بما فرض عليهم من أحكام.

- الحث على إخلاص العبادة لله تعالى وحده لنيل ثوابه.

- الحث على الإنفاق كيفما تيسر، سرا أو علانية.

التقويم

1- لماذا أثنى الله تعالى على من يداوم على تلاوة القرآن الكريم والأعمال الصالحة؟ وما جزاء أولئك؟

2- ما المقصود بالتجارة في الآيات؟

3- أبين علاقة القرآن الكريم والكتب السابقة من خلال الآيات؟

الاستثمار

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟

فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا».

[مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار: حديث بريدة الأسلمي]

أتأمل النص وأستخرج فضائل تلاوة القرآن.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 32- 34 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَوْرَثْنَا - ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ - مُّقْتَصِدٌ - ٱلْحَزَنَ - لُغُوبٌ - نَصَبٌ - دَارَ ٱلْمُقَامَةِ.

2- أبحث عن الأساس الذي انقسم عليه من اصطفى الله تعالى من عباده.

الدرس
10

سورة فاطر (الآيات: 32-35)

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف على عباد الله المصطفين وجزائهم يوم القيامة.

2 - أن أميز بين أقسام عباد الله المصطفين.

3 - أن أحرص على أن أكون من السابقين بالخيرات.

تمهيد

بعد ثناء الله تعالى على عباده المداومين على تلاوة القرآن الكريم، المؤدين ما أوجبه عليهم، أورد في هذه الآيات بيانا لعباده الذين اصطفاهم وفضلهم على غيرهم، وقسمهم إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، مذكرا بما أعد لهم من جزاء.

فلماذا اصطفى الله هؤلاء من بين جميع خلقه؟ وما جزاؤهم يوم القيامة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)﴾ [سورة فاطر: 32-35]

الفهم

الشرح:

أَوْرَثْنَا : أعطينا ومنحنا.

ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ: مهلكها بإثمه وعصيانه.

مُّقْتَصِدٌ : مكتف باليسير من الطاعات.

ٱلْحَزَنَ : ما يغم ويحزن ويخيف.

دَارَ ٱلْمُقَامَةِ : دار الإقامة الدائمة وهي جنات عدن.

نَصَبٌ : تعب البدن.

لُغُوبٌ : تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - بماذا أكرم الله تعالى عباده المصطفين؟ وما أقسامهم؟

2 - ما جزاء من اصطفى الله تعالى من عباده يوم القيامة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إكرام الله سبحانه عباده المصطفين:

لما أثنى تعالى على الذين يتلون كتاب الله في الآيات السابقة، ذكر من اصطفاهم من عباده، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: ثم أورثنا

القرآن الكريم أمة محمد ﷺ، والتوريث معناه أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

ثم قسم الله تعالى الأمة إلى ثلاثة أصناف، فقال سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: الذين اصطفيناهم من أمة محمد ﷺ، منهم من هو ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم مسارع في الخيرات، وكل ذلك بتوفيق الله وتيسيره، وهذا الاصطفاء هو الفضل الكبير من الله تعالى.

قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ: فالظالم لنفسه: العاصي. والسابق: التقي. والمقتصد: بينهما.

وهذا هو القول الراجح عند أغلب المفسرين. وعلى هذا القول، فالضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ يعود على الذين اصطفينا، وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

ومن الأحاديث الواردة في هذا، حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 32] فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا، فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿34﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35-34]». [مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار: حديث أبي الدرداء].

وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيّئاته، وجميعهم يدخلون الجنة. وقيل: الظالم

الكافر، والمقتصد المؤمن العاصي، والسابق التقي. فالضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذا يعود على العباد.

فإن قيل: لم قدّم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق؟

فالجواب: أنه قدّم الظالم لنفسه رفقا به لئلا ييئس، وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه. وقال الزمخشري: قدّم الظالم لكثرة الظالمين، وأخر السابق لقلة السابقين.

ثانيا: جزاء من اصطفى الله تعالى من عباده:

أخبر الله تعالى عن مأوى الذين اصطفاهم من عباده، فقال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من ﴿ٱلْفَضْلُ﴾، أو خبر مبتدأ تقديره: ثوابهم جنات عدن، أو مبتدأ تقديره: لهم جنات عدن، وضمير الفاعل في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يعود على الظالم والمقتصد والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة، وهو القول الراجح كما تقدم. وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة. وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ «من» لبيان الجنس أو للتبعيض، ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع إسوار وسوار، وهو ما يجعل في اليد، والمعنى: يلبسون فيها حليا من ذهب ولؤلؤ، كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ» [صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء]

ثم ذكر الله لباس هؤلاء في الجنة، فقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: وجميع ما يلبسونه في الجنة من الحرير. قال ابن كثير رحمه الله: «ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا، فأباحه الله لهم في الدار الآخرة. وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ

لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ [صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه]» [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 6/ 551].

وبين الله سبحانه حمدهم له وشكرهم على إنعامه، فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ الْحَزَنُ: قيل هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة وقيل: هموم الدنيا، والصواب: العموم في ذلك كله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ «يغفر الجنايات وإن كثرت ﴿شَكُورٌ﴾ يقبل الطاعات وإن قلت» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/ 76]. ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ معنى ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، والمقامة هي الإقامة والموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها ولا يخرجون منها، أي: الذي أدخلنا الجنة بفضله ورحمته ولم تكن أعمالنا لتبلغ ذلك، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ» [صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن، والمعنى: لا يمسنا فيها تعب البدن ولا تعب النفس.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية أهمها:

- إكرام الله تعالى المسلمين باصطفائهم وتوريثهم القرآن الكريم.

- شمول رحمته تعالى الموحدين من أمة محمد ﷺ، سواء كانوا ممن ظلموا أنفسهم أو من المقتصدين، أو من السابقين بالخيرات.

- مجازاة الله تعالى هؤلاء بجنات عدن ، والتفضل عليهم بأنواع النعم .

التقويم

1 - لماذا اصطفى الله تعالى عباده المذكورين في الآيات؟

2 - لم قدم الظالم لنفسه وأخر السابق في الآيات؟

3 - هل الجزاء المعد لهؤلاء المصطفين يشمل أقسامهم الثلاثة؟ ولماذا؟

الاستثمار

«فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ كَيْفَ قَالَ فِي حَقِّ مَنْ ذَكَرَ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَأَنَّهُ مُصْطَفًى: إِنَّهُ ظَالِمٌ؟ مَعَ أن الظالم يطلق عَلَى الْكَافِرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، فَنَقُولُ: الْمُؤْمِنُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ حَالَ الْمَعْصِيَةِ. وَإِلَيْهِ الإشارة بقوله ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيُصَحِّحُ هَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ». وَقَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ كَوْنِهِ مُصْطَفًى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الْأَعْرَاف:22] وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَضَعُ قَلْبَهُ الَّذِي بِهِ اعْتِبَارُ الْجَسَدِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَأَمَّا قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فَمُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ لَا يَضَعُهُ فِي غَيْرِ التَّفَكُّرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا يَضَعُ فِيهِ غَيْرَ مَحَبَّةِ اللَّهِ».

[مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي: 239/26]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- كيف يكون الظالم لنفسه ممن اصطفاهم الله تعالى من عباده؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: 36- 37 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: لَا يُقْضَىٰ - كَفُورٍ - يَصْطَرِخُونَ - نُعَمِّرْكُم.

2- ما الغاية من تشديد العقوبة على الكافرين يوم القيامة؟

الدرس 11

سورة فاطر (الآيتان: 36-37)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مصير الكافرين وجزاءهم يوم القيامة.

2- أن أستنتج أسباب طلب الكافرين العودة إلى الدنيا.

3- أن أتجنب صفات الكافرين لأنجو من عذاب الله.

تمهيد

لما ذكر الله تعالى حال السعداء في الآيات السابقة، بين في هاتين الآيتين حال الأشقياء، ومصيرهم إذ سيجازون بعذاب دائم غير منقطع، يتمنون فيه الموت ليستريحوا، ويستغيثون بالله ليخرجهم منه؛ فيرد الله تعالى عليهم بأنه منحهم الفرصة الكافية، وأقام عليهم الحجة ببعثة الرسل والأنبياء؛ فلم ينتفعوا بذلك.

فما هو مصير الكافرين يوم القيامة؟ ولماذا شدد الله عليهم العذاب؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37)﴾ [سورة فاطر: 36-37]

الفهم

الشرح:

لَا يُفْتَّرُ: لا يخفف.

لَا يُقْضَىٰ: لا يحكم.

كَفُورٍ : مبالغ في الكفر.

يَصْطَرِخُونَ: يستغيثون.

نُعَمِّرْكُم : نطيل من أعماركم.

استخلاص مضامين الآيتين:

1 - لمن أعد الله الجزاء الوارد في الآيتين؟

2 - ما هي المقاصد التي تضمنتها الآيات؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: مصير الكافرين يوم القيامة:

لما ذكر الله تعالى حال السعداء الأتقياء وجزاءهم، في الآيات السابقة؛ بين حال الأشقياء وجزاءهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ المعنى: والذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسله، سيكونون في نار جهنم. وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر:29]

وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ أي: لا يحكم عليهم فيها بالموت فيستريحوا من العذاب الأليم، ووقع ﴿فَيَمُوتُوا﴾ جوابا للنفي، ونصب بأن المضمرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ أي: ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم، لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ أي: بمثل هذا الجزاء، يجزي الله كل مبالغ في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قوله ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ أي: يستغيثون، فيقولون: ربنا أخرجنا من النار، وأعدنا إلى الدنيا لنعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمله. واستعمل هذا الفعل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته، وفي قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه.

لكن الله تعالى يعلم أنهم إن عادوا إلى الدنيا عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، لذلك قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ هذه الجملة توبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم.

ولقد وقف المفسرون عند جملة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ وأوردوا بعض الأقوال والأحاديث في معنى ذلك، فقال بعضهم: إن الخطاب في الآية موجه لمن بلغ ستين سنة، وهو الأرجح، لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ» [مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة].

وهذا العمر هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما وضح ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» [سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين].

وقيل: إن الآية خطاب لمن بلغ الأربعين، وعلل أصحاب هذا القول رأيهم بأن عقل الإنسان يصل إلى نهاية نضجه فيها. وقيل: البلوغ.

ثم قال سبحانه: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ أي: وجاءكم النبي ﷺ، وقيل: ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ هو الشيبُ لأنه نذير بالموت، وقيل: هو موت الأقارب، والأول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: «فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/556].

ثانيا: مقاصد الآيتين:

تهدف الآيتان إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- الاعتبار بنذارة القرآن، وتدبر سوء عاقبة أحوال الكافرين والظالمين؛ يعين على تزكية النفس والاستجابة لأوامر الله تعالى ونواهيه.

- إقامة الحجة على الناس بإنذارهم، وتمتيعهم بأعمار طويلة كافية ليستقيموا في حياتهم.

- اغتنام العمر في صالح الأعمال، والتفكر في مآل الخلق من صفات المتذكرين.

التقويم

1 - لماذا استحق الكافرون العذاب الشديد يوم القيامة؟

2 - لماذا لم تمنح لهم فرصة ثانية لتصحيح مواقفهم؟

3 - ما المقصود بالنذير الوارد في الآية؟

الاستثمار

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾: «وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يحيون". قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: 77] فَهُمْ فِي حَالِهِمْ ذَلِكَ يَرَوْنَ مَوْتَهُمْ رَاحَةً لَهُمْ، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: 74-75] وَقَالَ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97]، ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 30]».

[تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/552]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - ما هو المضمون المشترك بين الآيات الواردة في النص؟

2 - لماذا شدد الله العقوبة على الكافرين؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 38- 40 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ - بَيِّنَتٍ - مَقْتاً - خَسَاراً - خَلَٰٓئِفَ.

2- أبحث في الآيات عن الحجج الدالة على وحدانية الله تعالى.

الدرس 12

سورة فاطر (الآيات: 38-40)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف صفات الله تعالى الواردة في الآيات.

2- أن أستنتج سبب تخليد الكافرين في العذاب.

3- أن أستحضر مراقبة الله تعالى لألتزم بشرعه.

تمهيد

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الظالمين ليس لهم من ينصرهم ويدفع عنهم العذاب على سبيل الاستمرار؛ احتمل أن يقال كيف يخلد هؤلاء في النار مع أنهم ظَلَموا في أيام قلائل في الدنيا؟ لذلك وضح في هذه الآيات أنه عليم بما تكنه صدورهم، وأن حالهم لن يتغير، ثم حاج المشركين بما يدفعهم إلى الاعتراف بوحدانيته سبحانه.

فلماذا خلد الله تعالى الكافرين في النار؟ وكيف أثبت للمشركين وحدانيته؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿38﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿39﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40)

[سورة فاطر: 38-40]

الفهم

الشرح:

بِذَاتِ الصُّدُورِ : المعتقدات والظنون.

خَلَائِفَ : جمع خليفة، وهو الذي يقوم بما كان قائما به سلفه.

مَقْتًا : بغضا واحتقارا.

خَسَارًا : خسارة.

بَيِّنَاتٍ : جمع بينة وهو الأمر الواضح.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - علام تدل سعة علم الله تعالى في الآيات؟

2 - من وبخ الله تعالى في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: سعة علم الله تعالى وتهديده للكافرين:

بعد ما ذكر الله تعالى مطالبة الكافرين له بإعادتهم إلى الدنيا للقيام بالأعمال الصالحة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: إن

الله عالم بكل ما خفي في الكون من غيب السموات والأرض، وبما تضمره الصدور وتعتقده، وهو سبحانه يعلم بأنه لو ردهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 29]. قال الزمخشري: ﴿بِذَاتِ﴾ هنا تأنيث (ذو) بمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ «جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض، أو خلائف عن الله في أرضه. والخطاب على هذا لجميع الناس. وقيل: لأمة محمد ﷺ؛ لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة» [التسهيل: 1/283].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: فمن كفر، فجزاء كفره عائد عليه ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ المقت احتقار الإنسّان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه، والمعنى: ولا يزيد استمرار الكافرين في كفرهم إلا بغضا شديدا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: ولا يزيدهم كفرهم إلا خسارا لأعمارهم.

ثانيا: إقامة الله سبحانه الحجج على وحدانيته:

احتج الله تعالى على المشركين وأبطل مذهبهم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: «آلهتكم التى اشركتموهم في العبادة ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله ﴿أَرُونِي﴾ بدل من ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ لأن معنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني كأنه قيل: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/92].

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أم لهم نصيب في خلق السموات ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: «معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/92].

والضمير في أتيناهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى، والأول أليق بما قبله من الضمائر.

وبعد نفي الله تعالى أن تكون للمشركين حجة في عبادتهم غيره سبحانه، أضرب عن كل ذلك، وبين ما حملهم على الشرك فقال سبحانه: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: «بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/557].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- إثبات العلم المطلق لله عز وجل، فهو يعلم كل سرّ وجهر في السموات والأرض، ويعلم كل ما تكنه الصدور.

- التنبيه إلى أن في جعل البشر خلائف، يخلف بعضهم بعضا جيلا يذهب وآخر يأتي، مجال للعظة والعبرة والعاقل من اعتبر بغيره.

- الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن رحمة الله سبحانه وشدة غضبه.

التقويم

1- ما الذي يدل على سعة علم الله تعالى في الآيات؟

2- ما سبب تخليد الله تعالى للكافرين في العذاب؟

3- ما هي الحجج التي واجه بها الله تعالى المشركين لتقرير وحدانيته؟

الاستثمار

قَالَ الْأَلُوسِي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: 38] تَقْرِيرٌ لِدَوامِهِمْ فِي الْعَذَابِ مَعَ أَنَّهُمْ مَا كَفَرُوا إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، فَكَأَنَّ سَائِلًا يَسْأَلُ عَنْ وَجْهِ ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيهِ مَا فِي الصُّدُورِ، فَكَانَ يَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْكَافِرِ أَنَّ الْكُفْرَ قَدْ تَمَكَّنَ فِي قَلْبِهِ، بِحَيْثُ لَوْ دَامَ إِلَى الْأَبَدِ لَمَا أَطَاعَ اللهَ تَعَالَى وَلَا عَبَدَهُ...، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ مُتَضَمِّنٌ نَفْيَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيرٌ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِمْرَارِ، وَمُسْتَدْعٍ خُلُودَهُمْ فِي الْعَذَابِ، فَكَانَ مَظِنَّةَ أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ يَنْفِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِمْرَارِ، وَالْعَادَةُ فِي الشَّاهِدِ قَاضِيَةٌ بِوُجُودِ نَصِيرٍ لِمَنْ تَطُولُ أَيَّامُ عَذَابِهِ، فَأُجِيبُ: بِأَنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ عِلْمًا، فَلَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيرٌ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَعَلِمَهُ».

[روح المعاني، للألوسي: 11/ 374(بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- لماذا خلد الظالمون في العذاب مع أنهم ظلموا في أيام معدودات؟

2- ما سبب نفي أن يكون للظالمين نصير يوم القيامة؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 41- 44 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَحِيقُ – تَزُولَا – يُمْسِكُ.

2- كيف أتجنب ما عليه المشركون من مكر سيء؟ وكيف أعتبر بسنة الله تعالى في معاملة من سبقهم من أمم؟

الدرس 13

سورة فاطر (الآيات: 41-44)

أهداف الدرس

1 - أن أستحضر جانبا من عظمة الله سبحانه وقدرته.

2 - أن أستنتج مظاهر مكر المشركين ونقضهم العهود.

3 - أن أعتبر بسنة الله تعالى في عقاب بعض الأمم السابقة.

تمهيد

بعد بيان الله تعالى جزاء المؤمنين والكافرين، ذكر سبحانه ما يدعو للتوحيد ويبطل الإشراك، وبين أبسط مقومات عبادة الله عز وجل، وهو الخلق والإبداع، ليؤكد لهم أن هذه الآلهة التي يزعمونها عاجزة عن ذلك؛ ثم بين سبحانه دلائل عظمته واتصافه بالحلم والمغفرة، فلا يعجل على عباده بالعقوبة، رغم ما يصدر منهم من المعاصي.

فما هي دلائل قدرة الله تعالى وعظمته الواردة في الآيات؟ وكيف أرشدت الآيات إلى الاعتبار بأحوال الأمم السابقة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿41﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿42﴾

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (43) وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا (44)﴾ [سورة فاطر: 41-44]

الفهم

الشرح:

يُمْسِكُ: يحفظ ويمنع.

تَزُولَا: تضطرب وتنتقل من أماكنها.

يَحِيقُ: يحيط وينزل.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الأدلة التي تضمنتها الآيات؟

2 - بم وصف المشركون في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته:

بعد محاجة الله تعالى للمشركين وبيان ما عليه معبوداتهم من عجز وضعف، أتبع ذلك ببيان بعض دلائل قدرته ووحدانيته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ ﴿أَن تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا، أو مفعول به لـ ﴿يُمْسِكُ﴾ بمعنى: يمنع. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: 63] ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: لو فرض زوالهما عن أماكنهما لم يمسكهما أحد. وقيل: أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال. وقوله ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: من بعد تركه الإمساك.

وجملة ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ جواب لقسم مقدر قبل لام التوطئة في ﴿لَئِن﴾، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: «غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدًّا لعظم كلمة الشرك» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/92]، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: 80].

ثانيا: استكبار المشركين ونقضهم العهود ومكرهم السيء:

ختم الله تعالى هذه الآيات بما كان عليه المشركون من نقض العهود، ومن مكر سيء حاق بهم، ودعوتهم إلى الاعتبار بمن سبقهم، فقال سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم و﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني اليهود والنصارى. وقوله تعالى: ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ جواب للقسم المقدر ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: فلما جاءهم محمد ﷺ ما زادهم ذلك إلا بعدا عن الحق ونفورا منه.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بدل من ﴿نُفُورًا﴾ أو مفعول من أجله. و﴿مَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد الجامع، وجانب الغربي. والأصل أن يقال: المكر السيئ.

ثم بين الله تعالى عاقبة مكرهم السيئ، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

أي: لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس: «إن في التوراة «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها» فقال ابن عباس: «أنا أجد هذا في كتاب الله»: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾».

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (157) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: 158-157]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: 167- 170].

وبعد بيان الله تعالى حقيقة المشركين ومكرهم السيء، حثهم على الاستجابة للحق، وترك المكر والمخادعة، فقال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل!؟ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (43) وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ «بين سبحانه أن سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل، سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها، وأن ذلك مفعول لا محالة»

[مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/93].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تضمنت هذه الآيات جملة من المقاصد التربوية، منها:

- إثبات وحدانية الله سبحانه واستحقاقه للعبادة.

- الحث على تزكية النفوس والسمو بها نحو النفس المطمئنة التي تحقق أركان الإيمان، والاستجابة لله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

- الدعوة إلى معاملة الناس بالحكمة والحلم والمغفرة، إذ منحهم الله فرصة الصلاح والإصلاح والتوبة إليه سبحانه، وذكرهم بأحوال من سبقهم من الأمم وسنته في معاقبتهم.

التقويم

1 - أستنتج من الآيات دلائل قدرة الله تعالى وعظمته.

2 - لماذا وصف الله تعالى المشركين بالكبر والمكر والخداع؟

3 - ما هو المقصد من تذكير الله تعالى عباده بمعاقبة بعض الأمم السابقة؟

الاستثمار

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكَ وَمَكْرَ السَّيِّئِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَلَهُمْ مِنَ اللهِ طَالِبٌ»، وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِي: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ لَمْ ينجُ حَتَّى يَنْزِلَ بِهِ مِنْ مَكْرٍ أَوْ بَغْيٍ أَوْ نَكْثٍ، وَتَصْدِيقُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]. ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: 23]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الْفَتْح: 10]».

[تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: 3187/10]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- ما هي عاقبة المكر السيئ الواردة في النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: 45- 46 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ﴿لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ - ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ - ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ - ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

2- أبحث عن الحكمة من تأخير الله تعالى عقاب المذنبين من عباده.

الدرس 14

سورة فاطر (الآيتان: 45-46)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الدروس المستفادة من إهلاك الله تعالى لبعض الأمم السابقة.

2- أن أستنتج الحكمة من تأخير الله تعالى عقاب المذنبين.

3- أن أحرص على التوبة من الذنوب قبل مجيء أجلي.

تمهيد

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة، سنته في إهلاك الأولين؛ نبه المشركين إلى آثار أولئك المهلكين، وأرشدهم إلى أن تلك الآثار هي شاهدة على قدرة الله تعالى وعظمته. فقد أهلك الأمم السابقة وأزالهم من الوجود، رغم أنهم كانوا أشد منهم قوة. ثم بين لهم أن سبب تأخير هلاكهم ليس عن عجز، وإنما لحكمة اقتضتها رحمة الله تعالى بعباده؛ فإنه تعالى بصير بعباده، وسيجازيهم بحسب أعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

فعلى ماذا حث الله المشركين في هاتين الآيتين؟ وما الحكمة من تأخير الله تعالى معاقبة المذنبين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا

فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (45) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (46) [سورة فاطر: 45-46]

الفهم

الشرح:

لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ : ليجعله عاجزا.

عَلِيمًا قَدِيرًا : عليماً بالأشياء كلها قديراً عليها.

بِمَا كَسَبُوا : من الذنوب والمعاصي.

أَجَلٍ مُّسَمًّى : يوم القيامة.

استخلاص مضامين الآيتين:

1- على ماذا حث الله المشركين في الآية الأولى؟

2- ما ذا تتضمن الآية الثانية؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: حث اللّه تعالى المشركين على الاعتبار بالأمم السابقة:

بعد بيان الله تعالى في الآيات السابقة، سنته في معاملة المكذبين لرسله، أكد سبحانه عدم تغيير سنته في خلقه، وحث المشركين على الاعتبار بأحوال من قبلهم، فقال سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: «قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فخليت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العَدَد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/562].

وجملة ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ في موضع الحال، أي: كان عاقبتهم الهلاك والزوال، مع أنهم أشد قوة من هؤلاء المشركين، فيكون عقابهم وزوالهم أيسر وأقرب.

وبسبب ما قد يتوهمه المشركون من أنهم أشد قوة ممن سبقهم من الأمم؛ نفى ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يفوته سبحانه شيء ولا يصعب عليه أمر، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: 21].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: «عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/562].

ثانيا: رحمة الله تعالى ولطفه بعباده:

بعد سرد الآيات ما يفيد إهلاك الله تعالى للأمم السابقة بسبب تكذيبها للأنبياء والمرسلين، بين أن سبب تأخير مؤاخذة المذنبين من عباده هو رحمته بهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ الضمير في ﴿ظَهْرِهَا﴾

للأرض، والدابة عموم في كل ما يدب، وقيل: أراد بني آدم خاصة ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ قوله ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى يوم القيامة، والمعنى: فإذا جاء «أجل جمعهم، فإن الله لن يخفى عليه حقيقة أمرهم، وحكمة حكمهم، فيجازيهم على قدر أعمالهم» [البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 4/554].

ثالثا: مقاصد الآيتين:

قررت الآيتان جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- تذكير المشركين بوحدانية الله تعالى.

- بيان قدرته تعالى على إهلاك من هم أشد قوة من قريش، لما في ذلك من حمل الناس على تزكية نفوسهم ودفعها إلى الامتثال.

- بيان حكمة الله تعالى ورحمته بعباده في تأخير مؤاخذتهم ليمنحهم فرصة للتوبة.

التقويم

1- ما هي الدروس المستفادة من إهلاك الأمم السابقة؟

2- ما الحكمة من تأخير الله تعالى عقاب المذنبين؟

3- ما أثر الآيتين في تهذيب النفوس ودفعها إلى التوبة؟

الاستثمار

أَوْرَدَ فخْرُ الدِّينِ الرّازِي رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسِيرِهِ، أَنَّ اللهَ تَعالَى ذَكَرَ فِي سُورَةِ الرُّومِ ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ [الروم: 8] مِنْ غَيْرِ «وَاوٍ»، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ بِـ«الْوَاوِ» فَمَا الْفَرْقُ؟ قَالَ:» نَقُولُ: قَوْلُ الْقَائِلِ: أَمَا رَأَيْتَ زَيْدًا كَيْفَ أَكْرَمَنِي وَهو أَعْظَمُ مِنْكَ، يُفِيدُ أَنَّ الْقَائِلَ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ زَيْدًا أَعْظَمُ، وَإِذَا قَالَ: أَمَا رَأَيْتَهُ كَيْفَ أَكْرَمَنِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْكَ، يُفِيدُ أَنَّهُ تَقَرَّرَ أَنَّ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَاصِلٌ عِنْدَ السَّامِعِ كَأَنَّهُ رَآهُ أَكْرَمَهُ وَرَآهُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ الْأَخِيرَةَ تُفِيدُ كَوْنَ الْأَمْرِ الثَّانِي فِي الظُّهُورِ مِثْلَ الْأَوَّلِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، وَلَا إِخْبَارٍ. إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَنَقُولُ: الْمَذْكُورُ هَهُنَا كَوْنُهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً لَا غَيْرَ، وَلَعَلَّ ذَلِك كَانَ ظَاهِرًا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ بِالْوَاوِ، أَيْ: نَظَرُكُمْ كَمَا يَقَعُ عَلَى عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ يَقَعُ عَلَى قُوَّتِهِمْ، وَأَمَّا هُنَاكَ فَالْمَذْكُورُ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ﴾ [الرُّوم: 8] وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافِر: 81] وَلَعَلَّ عِلْمَهُمْ لَمْ يَحْصُلْ بِإِثَارَتِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ بِكَثْرَتِهِمْ، وَلَكِنْ نَفْسُ الْقُوَّةِ، وَرُجْحَانُهُمْ فِيمَا عَلَيْهِمْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تَعْتَقِدُ فِيمَنْ تَقَدَّمَهُمْ أَنَّهُمْ أَقْوَى مِنْهُمْ، وَلَا نِزَاعَ فِيهِ». [مفاتيح الغيب، للرازي: 26/248(بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ [الروم:8] من غير «واو»، وبين قوله سبحانه: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ [فاطر: 45] ؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **1- 4** من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ٱلۡأَوَّلُ - وَٱلۡأٓخِرُ - يَلِجُ - يَعۡرُجُ.

2- أبحث في الآيات عن دلائل قدرة الله تعالى وسعة علمه.

الدرس 15

سورة الحديد (الآيات: 1-4)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض صفات الله تعالى الدالة على كماله.

2- أن أستنتج من الآيات دلائل قدرة الله وإحاطة علمه.

3- أن أنزه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بجلاله.

تمهيد

سورة الحديد مدنية وآياتها ثمان وعشرون، جاءت في ترتيب المصحف بعد سورة الواقعة؛ لأن هذه بدئت بالتسبيح، وتلك ختمت به، وافتتاح السورة بذكر تسبيح الله وتنزيهه مؤذن بأن أهم ما اشتملت عليه هو إثبات صفات الله الدالة على كماله، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله.

فما هي صفات الله الدالة على قدرته وعلمه في الآيات؟ وكيف أستفيد منها في تزكية نفسي؟

الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (1) له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (2) هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل

﴿... شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الحديد: 1-4]

الفهم

الشرح:

الْأَوَّلُ : ليس لوجوده بداية

وَالْآخِرُ : ليس لبقائه نهاية.

يَلِجُ : يدخل.

يَعْرُجُ : يصعد.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - عم نُزه الله تعالى في الآيات؟

2 - ما هي صفات الله تعالى التي أقيم الدليل على ثبوتها في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تنزيه الله عما لا يليق بجلاله:

افتتح الله عز وجل هذه السورة بتنزيهه الله عما لا يليق بجلاله، فقال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر

السور المسبحات، يحتمل أن يكون حقيقة، أو أن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته. والأول أرجح؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ سبح الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ يسبح المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

وقوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عام في جميع المخلوقات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: وهو العزيز بقدرته وسلطانه، الحكيم بلطفه وتدبيره وحكمته، و﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأن ملك البشر مجاز فان. [المحرر الوجيز لابن عطية: 257/5]

ثم قال تعالى: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ لما أخبر بأنه له الملك، أخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين، اللذين بهما تمام التصرف في الملك، وهو إيجاد ما شاء وإعدام ما شاء، ولذلك أعقبهما بالقدرة التي بها الإحياء والإماتة فقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 100/10]

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ أي: ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ أي: الظاهر للعقول بالأدلة، والبراهين الدالة على الباطن، الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطِن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: الظاهر: العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الذي بَطَنَ كل شيء أي: علم باطنه، والأول أظهر وأرجح.

ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها، مع اختلاف معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أن

الله تعالى عليم بجميع الأشياء. وقد تقرر أن علمه تعالى محيط بكل شيء، واجبات وجائزات ومستحيلات، يعلم الكليات والجزئيات، لا يعزب عن علمه شيء ظاهرا كان أو خفيا، وهو ما تفيده صيغة المبالغة التي هي ﴿عَلِيمٌ﴾ إذ تدل على أنه تعالى تام العلم بكل شيء جليه وخفيه.

ثانيا: دلائل كمال قدرة الله وإحاطة علمه:

بعد تنزيه الله تعالى ووصفه بما يدل على كمال قدرته وتمام علمه، جاءت هذه الآيات لإقامة الدلائل على ذلك. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا استئناف يفيد الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى، قال القرطبي: «ومعنى: ﴿خَلَقَ﴾ أبدع وأوجد بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئا ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة. قال الحسن: من أيام الدنيا. وقال ابن عباس: إن اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض مقداره ألف سنة من سني الدنيا. وقال الضحاك: في ستة آلاف سنة، أي: في مدة ستة أيام من أيام الآخرة». [الجامع لأحكام القران للقرطبي: 86/14]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال ابن جزي عن هذا اللفظ حيث وقع: «حمله قوم على ظاهره، منهم ابن أبي زيد وغيره، وتأوّله قوم بمعنى: قصد كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 28]. ولله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة. وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة» [التسهيل 290/1]

وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ استئناف لتقرير عموم علمه تعالى بكل شيء، ومن ذلك أنه يعلم ما يدخل في الأرض من المطر والأموات وغير ذلك، وما يخرج منها من النبات وغيره، وما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك. وَما يعرج فيها أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته. وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ أي: لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال، وهو ترغيب من حيث يدل على أنه تعالى يجازي على القليل، كما يجازي على الكثير، وتحذير من خلافه الذي هو الشر. [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 5/4].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- تقوية الإيمان بوجود الله عز وجل واتصافه بصفات الكمال الدالة على تمام قدرته وسعة علمه وسلطانه على الإنسان والكون خلقا وإبداعا، ابتداء وانتهاء.
- تنزيه الله تعالى يوجب عبادته؛ لأن عبادة الله هي غاية وجود الخلق.
- تزكية النفوس ومحاسبتها باستحضار المراقبة الإلهية والمعية الربانية.
- الإخلاص في العمل، والإحسان في كل شيء، والسعي إلى تحقيق النفع للفرد والمجتمع في السر والعلن.

التقويم

1- أوضح معنى التسبيح في الآيات؟

2- أستخرج من الآيات الصفات الدالة على قدرة الله وتمام علمه.

3- كيف يكون استحضار هذه الصفات دافعا لإصلاح الفرد والمجتمع؟

الاستثمار

عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّائِمَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ، وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ».

[السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الزكاة، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضا، ولا معيبا]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أستخرج بعض آثار المراقبة الإلهية من خلال النص.

2- كيف نستفيد من المراقبة الإلهية في تزكية النفوس والرقي بالمجتمع؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 5- 8 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ - مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ - أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ.

2 - أوضح بعض مظاهر قدرة الله عز وجل في نظام الليل والنهار.

3 - أبحث عن أهمية إنفاق المال، وآثاره على الفرد والمجتمع.

الدرس 16

سورة الحديد (الآيات: 5-8)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض دلائل قدرة الله وعلمه الواردة في الآيات.

2- أن أدرك أن توحيد الله وقدرته وعلمه يوجب له الإيمان والطاعة.

3- أن أعتبر بالدلائل والبراهين للدوام على الإيمان والطاعة.

تمهيد

بعد أن عرضت الآيات السابقة أدلة وحدانية الله وتمام قدرته وإحاطة علمه، جاءت هذه الآيات لتستظهر المزيد من هذه الأدلة، حيث أخبر سبحانه أن كل ما في السموات والأرض ملك له مذكرا ببعض الظواهر الكونية التي تدل على قدرة الله عز وجل، وهو ما يوجب الإيمان به وطاعة أمره والالتزام بشرعه.

فما هي دلائل قدرة الله الواردة في الآيات؟ وما ذا يترتب على الإيمان بذلك؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (5) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (6) ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

وَأَنفِقُواْ لَهُمُۥٓ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿7﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿8﴾ . [سورة الحديد: 5-8]

الفهم

الشرح:

بِذَاتِ اِ۬لصُّدُورِ: بما تضمره الصدور وتعتقده.

مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ: الأموال التي بين أيديكم.

مِيثَٰقَكُمْ : ما جعل الله في عقولكم من النظر المؤدي إلى الإيمان.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - أين تتجلى قدرة الله تعالى في الآيات؟

2 - بماذا أمر الله تعالى عباده في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: دلائل قدرة اللّه ومظاهر نعمه على الخلق:

ما زالت هذه الآيات تعدد دلائل قدرة الله وبديع صنعه، قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقد تقدمت في أول هذه السورة وتكررت هنا تأكيدا لما سبق وليبنى عليه قوله: ﴿وَإِلَى اَ۬للَّهِ تُرْجَعُ اُ۬لْأُمُورُ﴾، فكان ذكره في أول السورة مبنيا عليه

التصرف في الموجودات القابلة للحياة والموت في الدنيا، وكان ذكره هنا مبنيا عليه أن أمور الموجودات كلها ترجع إلى تصرفه. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ الأمور أفعال الناس، والمراد: رجوع أهلها للجزاء على أعمالهم في الحشر إذ لا يتعلق الرجوع بحقائقها. وهذا تأكيد لجملة ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: له ملك العوالم في الدنيا، وله التصرف في أعمال العقلاء من أهلها في الآخرة. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 27/265]

ثم قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي: ومعنى إيلاج الليل في النهار، أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل: الإيلاج: هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: أنه سبحانه عليم بما تضمره الصدور وتعتقده، فـ ﴿بِذَاتِ﴾ هنا مؤنث «ذي» بمعنى صاحبة، والصحبة: هنا بمعنى الملازمة، لأن المضمرات تصحب الصدور.

ثانيا: الأمر بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وطاعته:

بعد أن ذكر الله تعالى أنواعا من الدلائل على التوحيد والعلم والقدرة، أتبعها بحقها، الذي هو التكاليف الشرعية، فقال: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ومعناه: دُوموا على الإيمان بالله ورسوله، إن كان خطاباً للمؤمنين، فيكون تمهيدا لدعوتهم إلى الإنفاق وغيره، وإن كان خطاباً لغير المسلمين، فمعناه أَحْدِثوا الإيمان ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، وروي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ. ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق لجميع الناس، وقوله ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني أن الأموال التي بأيديكم

إنما هي أموال الله لأنه خلقها، ولكنه متّعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه، ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم، كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه: تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ خِطَاب لِمشركي قريش، ومعناه: أي شيء يمنعكم من الإيمان، والرسولُ يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة لتؤمنوا بربكم؟ فقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار أي: لا مانع لكم من الإيمان. و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿مَا لَكُمْ﴾، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ فقالوا: بلى. وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تذكير بأن ذلك من مقتضيات الإيمان، أي: إن كنتم مريدين الإيمان بذلك، فبادروا إليه.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- تفرد المولى عز وجل بملك العوالم، وتصرفه فيها وفق نظام بديع دال على وجود الخالق وكمال قدرته.

- الدعوة إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق وجلاله.

- توحيد الله وقدرته وعلمه توجب الإيمان به وبرسوله والإنفاق في سبيل الله.

- الأمر بالإنفاق في سبيل الله يؤكد مبدأ التضامن والتعاون على الخير.

التقويم

1- أحدد بعض دلائل قدرة الله عز وجل في الآيات.

2- لماذا أنكر القرآن الكريم على المشركين عدم إيمانهم في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؟

3- ما هي آثار الإنفاق في سبيل الله على المنفِق والمنفَق عليه؟

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾:

«في الْآيَةِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ إِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُ اللَّه بِخَلْقِه وَإِنْشَائِه لَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا تَحْتَ يَدِ الْمُكَلَّف وَتَحْتَ تَصَرُّفه لِيَنْتَفِعَ بِهَا عَلَى وَفْق إِذْنِ الشَّرْعِ، فَالْمُكَلَّفُ فِي تَصَرُّفِهِ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ بِمَنْزِلَةِ الْوَكِيلِ وَالنَّائِبِ وَالْخَلِيفَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَسْهُلَ عَلَيْكُمُ الْإِنْفَاقُ مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ، كَمَا يَسْهُلُ عَلَى الرَّجُلِ النَّفَقَةُ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ إِذَا أَذِنَ لَهُ فِيه.

الثَّانِي: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُ نَقَلَ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْثِ، فَاعْتَبِرُوا بِحَالِهِمْ، فَإِنَّهَا كَمَا انْتَقَلَتْ مِنْهُمْ إِلَيْكُمْ فَسَتُنْقَلُ مِنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَلَا تَبْخَلُوا بِهَا». [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 29/450]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- ما المقصود بكون الإنسان مستخلفا في المال؟

2- ما هو ضابط إنفاق المال المشار إليه في النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 9- 11 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ - الْفَتْحِ - الْحُسْنَىٰ - قَرْضًا حَسَنًا .

2- أحدد دواعي الإنفاق في سبيل الله في الآيات .

3- أبحث عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ. . .﴾ الآية .

الدرس 17

سورة الحديد (الآيات: 9-11)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف دواعي الإيمان بالله والإنفاق في سبيله.

2- أن أدرك فضل الإنفاق في سبيل الله والمسارعة إلى فعل الخيرات.

3- أن أومن أن ما أنتفع به من مالي هو ما أنفقته وقدمته لآخرتي.

تمهيد

بعد الأمر بالإيمان والحث على الإنفاق في سبيل الله، تأتي هذه الآيات لتأكيد الثبات على ذلك، حيث أخبر سبحانه أنه نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات بينات، ليخرج الناس بها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وبين دواعي هذا الإنفاق في سبيل الله مذكرا بما أعد الله للمنفقين من أجر عظيم.

فما هي دواعي الإيمان والإنفاق في سبيل الله؟ وماذا أعد الله عز وجل للمنفقين من جزاء؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿9﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ

﴿وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)﴾ [سورة الحديد: 9-11]

الفهم

الشرح:

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ: القرآن الكريم.

الْفَتْحِ : فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية.

الْحُسْنَىٰ : الجنة.

قَرْضًا حَسَنًا : خالصا طيبا.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم ذكر الله تعالى عباده في الآيات؟

2 - علام حث الله تعالى في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: هداية القرآن الكريم:

في بداية هذه الآيات يذكرنا الله جل وعلا أنه ينزل على رسوله آيات بينات يهدي بها الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ﴾

أي: هو الذي ينزل على عبده، يعني سيدنا محمدا ﷺ، والعبودية هنا للتشريف والاختصاص ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ والآيات هنا القرآن الكريم ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم. ومن ظلمات الضلالة والأهواء إلى نور الهدى واليقين ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: وإن الله لكثير الرأفة والرحمة بكم، حيث بعث إليكم عبده محمدا ﷺ، وأنزل عليه كتابه الكريم لتهتدوا به، ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية.

ثانيا: الحث على الإنفاق في سبيل الله:

بعد أن أمر الله تعالى الناس بالإيمان والإنفاق في سبيله، وبخهم هنا على ترك الإنفاق في سبيل الله مع قيام أسبابه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله يرث ما في السموات والأرض إذا فني أهلها. ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ الفتح هنا: فتح مكة؛ لأن إطلاق لفظ الفتح في المتعارف ينصرف إليه، وقيل: صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، والآية تدل على وجود التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك، فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد.

ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجرا ممن أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل. ثم حذف ذلك لدلالة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ،

ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» [صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا] يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي بعدهم، إلى يوم القيامة.

ثم قال تعالى: ﴿وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين من الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده، وعدهم الله الجنة. وَكُلاًّ مفعول أول لوعد، والحسنى مفعول ثانٍ.

ثم قال سبحانه: ﴿وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ والمعنى: أنه سبحانه خبير بأعمالكم، عليم بأحوالكم، وبذلك يمكنه إيصال الثواب إلى مستحقيه.

ثم قال سبحانه: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف. وروي أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره. وقوله: ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾ أي خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى وقوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، وبالرفع على الاستئناف، أو عطفا على يقرض، وبالنصب في جواب الاستفهام وقوله: ﴿أضعافا كثيرة﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة. وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» [صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مجموعة من مقاصد الإنفاق، منها:

- مجازاة الله تعالى المنفق في سبيل الله على إنفاقه أضعافا مضاعفة في الآخرة.

- الإنفاق في سبيل الله يحقق النفع للمجتمع والتضامن والتعاون بين أفراده، مما يساعد على المزيد من الوحدة والتماسك الاجتماعي.

- تزكية النفس وإشاعة المودة والوئام بين الناس من ثمرات الإنفاق في سبيل الله.

التقويم

1 - كيف يخرج القرآن الكريم قارئه من الظلمات إلى النور؟

2 - لماذا وبخ القرآن الكريم الممسك الذي لا ينفق في سبيل الله؟

3 - بماذا رغب القرآن الكريم الناس في الإنفاق في سبيل الله؟

4 - لماذا كان العمل قبل فتح مكة أفضل من العمل بعد الفتح؟

الاستثمار

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ. قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رسول الله قَالَ: فَنَاوَلَهُ يَدَهُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي- وَلَهُ حَائِطٌ فِيهَا سِتِّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا- قَالَ: فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ لَبَّيْكَ. فَقَالَ: اخْرُجِي، فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: رَبِحَ بَيْعُكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، وَنَقَلَتْ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصِبْيَانَهَا، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَمْ عِذْقٍ رَدَاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ».

[تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 460/2]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح كيف كان الصحابة يسارعون إلى الخيرات؟

2- ما الذي جعل أبا الدحداح ينفق حائطه في سبيل الله؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 12- 14 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ٱنظُرُونَا - نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ - فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ - وَتَرَبَّصۡتُمۡ - وَٱرۡتَبۡتُمۡ - ٱلۡأَمَانِيُّ.

2- أقارن بين حال المؤمنين وحال المنافقين يوم القيامة.

الدرس
18

سورة الحديد (الآيات: 12-14)

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف بعض أحوال المؤمنين والمنافقين في يوم القيامة.

2 - أن أستخلص جزاء المؤمنين والمنافقين في الآخرة.

3 - أن أتمثل صفات المؤمنين لأفوز بالجنة وما فيها من النعيم.

تمهيد

بعدما تقدم من الأمر بالإيمان والإنفاق في سبيل الله، بين الله عز وجل في هذه الآيات بعض أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة؛ ليعلم الإنسان أنه لن يجني في ذلك اليوم العظيم إلا ما قدم من أعمال صالحة.

فما هي أحوال الفريقين؟ وماذا أعد الله لهم من جزاء على أعمالهم؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ
الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ
الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ

﴿وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿13﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿14﴾﴾ [سورة الحديد: 12-14]

الفهم

الشرح:

انظُرُونَا : انتظرونا.

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ: نأخذ منه ونستضيء به.

فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ : أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

وَتَرَبَّصْتُمْ : أبطأتم بإيمانكم.

وَارْتَبْتُمْ : شككتم في الإيمان.

الْأَمَانِيُّ : طول الأمل والتمني.

استخلاص مضامين الآيات:

1- أحدد بعض أحوال المؤمنين يوم القيامة.

2- أذكر بعض أحوال المنافقين في الآخرة.

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: أحوال المؤمنين يوم القيامة:

في هذه الآيات يبين المولى سبحانه بعض أحوال المؤمنين يوم القيامة، يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ في الآية السابقة، أو منصوب بتقدير (اذكر)، تعظيما لذلك اليوم، والمراد من هذا اليوم هو يوم الحساب ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ جملة «يسعى» حال من مفعول «ترى». واختلفوا في المراد بالنور: قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان، والصحيح هو قول الجمهور: إنه حقيقة. وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ. فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم. وقيل: يكون أصله في إيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالانطفاء.

ثم قال تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: يقال لهم ذلك، وقوله: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها، وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل. وقوله: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ أي: ماكثين فيها على الدوام، لا يخرجون منها أبدا، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: السعادة الدائمة الكبيرة التي لا مثيل له. وأصل الفوز الظفر بالمطلوب.

ثانيا: أحوال المنافقين يوم القيامة:

بعد ما بين الله عز وجل حال المؤمنين، أردف ذلك بحال المنافقين يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف: تقديره «اذكر».

ومعنى الآية: أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: نأخذ منه ونستضيء به.

ومعنى ﴿انظُرُونَا﴾: انتظرونا. وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك. ويحتمل أن يكون من النظر أي: انظروا إلينا، لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم. وهذا ضعيف لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين فإنه يتعدى بإلى. وقرئ «أَنْظِرُونَا» بهمزة القطع، ومعناه أخرونا، أي: أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة. ومعناه الطرد للمنافقين، والتهكم بهم؛ لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور. و﴿وَرَاءَكُمْ﴾ ظرف، العامل فيه ﴿ارْجِعُوا﴾، وقيل: إنه لا محل له من الإعراب، وأنه كما لو قال: ﴿ارْجِعُوا﴾ ومعنى هذا الرجوع، ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

ثم قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ أي: ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، وقيل: إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ باطنه هو جهة المؤمنين، وظاهره هو جهة المنافقين، وهي خارجه، كقوله: ظاهر المدينة، أي: خارجها. والضمير في باطنه وظاهره، يحتمل أن يكون للسور أو للباب، والأول أظهر ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين

فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم الإيمان ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ جواب للنفي في ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، أي: بلى كنتم معنا في الظاهر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ولكنكم أهلكتم أنفسكم وأضللتموها بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون أو يُهزَموا، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي: وغرّكم الشيطان بأنّ الله عفو كريم لا يعذبكم.

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في هذا اليوم لا يؤخذ منكم أيها المنافقون، ولا من الذين كفروا في الظاهر والباطن فدية تدفعون بها العذاب عن أنفسكم. بل ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي: منزلكم ومقامكم الذي تستقرون فيه هو النار ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى: الولي الناصر، فكان هذا استعارة منه، أي: لا وليّ لكم تأوون إليه إلا النار ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المرجع والمنقلب الذي تصيرون إليه.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- غاية وجود الإنسان في هذه الحياة هي عبادة الله وإعمار الأرض بالخير والأعمال الصالحة.

- الأعمال الصالحة في الدنيا تكون سببا في رضى الله ونيل الدرجات العليا في الجنة.

- الانحراف عن طريق الحق والاغترار بالدنيا وسلوك سبيل المعصية والفساد في الأرض يكون سببا للحسرة وسوء المصير في الآخرة.

- التأكيد على العدل الإلهي من خلال مجازاة كل بعمله بالقسط، وإعطاء كل ذي حق حقه.

التقويم

1 - ما هي أحوال المؤمنين والمنافقين المذكورة في الآيات؟

2 - ما سبب اختلاف أحوال الفريقين؟

3 - ما معنى قوله تعالى: ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾؟

الاستثمار

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «بَيْنَمَا النَّاسُ فِي ظُلْمَةٍ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ نُورًا؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ النُّورَ تَوَجَّهُوا نَحْوَهُ، وَكَانَ النُّورُ دَلِيلًا مِنَ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِ انْطَلَقُوا، تَبِعُوهُمْ، فَأَظْلَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا حِينَئِذٍ: انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا. قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ، فَالْتَمِسُوا هُنَالِكَ النُّورَ».

[جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: 401/22]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - لماذا خص الله المؤمنين بالنور دون المنافقين؟

2 - ما هو مستند ابن عباس في ما أخبر به في هذا النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **15- 18** من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **يَأْنِ - تَخْشَعَ - لِذِكْرِ اللَّهِ - الْأَمَدُ.**

2- أقارن بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين يوم القيامة.

الدرس 19

سورة الحديد (الآيات: 15-18)

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

2 - أن أستنتج فضل الإيمان والعمل الصالح في نجاة الإنسان في الآخرة.

3 - أن أتعظ بتلاوة القرآن الكريم ليخشع قلبي لذكر الله.

تمهيد

بعد أن بين الله تعالى بعض أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، أتبعه بندب المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وحذرهم من أن تقسو قلوبهم إن هم ابتعدوا عنه وعن ملازمة كتابه، فأهملوا أوامره ونواهيه، مبينا جزاء المؤمنين المتصدقين وجزاء الكافرين يوم القيامة.

فلماذا حث القرآن الكريم على الخشوع لذكر الله؟ وما أثر هذا الخشوع على سلوك المؤمنين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (15) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (16)

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿17﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿18﴾﴾ [سورة الحديد: 15-18]

الفهم

الشرح:

يَأْنِ : يحن.

تَخْشَعَ : تخشى وتخاف.

لِذِكْرِ ٱللَّهِ: القرآن أو الذكر، أو التذكير بالمواعظ.

ٱلْأَمَدُ : مدة الحياة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- علام حث القرآن الكريم في بداية الآيات؟

2- فيم قارن القرآن الكريم بين المصدقين والمكذبين؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: حث المؤمنين على الخشوع لذكر الله:

بعد أن ذكر الله تعالى الفرق بين أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، أردف ذلك بحث المومنين على الخشوع لذكر الله، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

﴿لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال: أَنَى الأمر يَأْنِي إذا حان وقته، وقوله: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر، أو التذكير بالمواعظ، وهذه آية موعظة وتذكير، قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلى الله.

وقوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ والمراد به القرآن الكريم، قال البيضاوي: «وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر» [تفسير البيضاوي: 1/188]

ثم حذرهم الله تعالى من ترك الخشوع لذكر الله فقال: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ قوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على ﴿أَن تَخْشَعَ﴾ ويحتمل أن يكون نهيا، والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب في ما تقدمت الإشارة إليه من ترك الخشوع ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي: فطالت عليهم مدة الحياة وقيل: انتظار القيامة، وقيل انتظار الفتح، والأول أظهر ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال ابن كثير: «أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أُمروا بها، وارتكبوا ما نهو عنه؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية». [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير:8/20]

ثم ضرب المثل لتأثير المواعظ وتلاوة القرآن في القلوب فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب أي: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح؛ لأنه الحقيقة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: بينا لكم البراهين الدالة على قدرة الله لتعقلوا وتتدبروا.

ثانيا: جزاء المتصدقين والصديقين:

بعد أن بين الحق سبحانه الفرق بين المؤمنين وغيرهم في يوم القيامة في آيات سابقة، أكد هنا ذلك الفرق فقال: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتشديد الصاد من الصدقة، وأصله المتصدقين، أدغمت التاء في الصاد، فصارت المصدّقين، وقرئت بتخفيف الصاد من التصديق، أي: صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا. والقرض الحسن هو التصدق الخالص الطيب من حلال من غير مَنٍّ ولا أذى. وقد عبر بالقرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: أن الله تعالى يضاعف لهم الثواب على عملهم ويدخلهم الجنة.

ولما كان من المؤمنين من لا مال له ليتصدق به، أعقب ذلك ببيان فضل المؤمنين مطلقا، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الصِّدِّيقُونَ مبالغة من الصدق، أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فِعِّيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مِسِّيك من أمسك ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ، وخبره ما بعده، أو يكون معطوفا على الصديقين، فإن كان مبتدأ، ففي المعنى قولان: أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم. وثانيهما: أنه جمع شاهد، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم يشهدون على قومهم.

وإن كان معطوفا ففي المعنى قولان، أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء، أي: جمعوا الوصفين. وروي في هذا المعنى أن رسول الله

ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ» ثم تلا النبيّ ﷺ هذه الآية [جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري: 23/192]، وثانيهما: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 142]

ثم قال تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ، أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.

ولما بين حال المصدقين بين حال المكذبين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: والذين كفروا بالله وأنكروا وجوده ووحدانيته، وكذبوا رسله ولم يعتبروا بآياته أولئك هم أصحاب الجحيم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- تزكية النفوس والرقي بالقلوب لتخشع وتطمئن بذكر الله من خلال المداومة على قراءة القرآن وعدم إغفاله.
- الاعتبار بنعم الله وآياته الكونية الدالة على قدرته وجلاله.
- أداء حقوق الفقراء والمحتاجين لنيل ما أعد الله للمتصدقين من أجور مضاعفة.
- عدل الله بين الناس من خلال مجازاته كلا على عمله خيرا كان أو شرا.

التقويم

1 - ما معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؟

2 - ما هو إعراب ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ وما ذا يترتب على ذلك في معنى الآيات؟

3 - ما هو جزاء المصدقين والمكذبين في الآخرة؟

الاستثمار

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ، مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

[صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح العلاقة بين مضمون الحديث وبين الآيات موضوع الدرس.

2 - ما هي أسباب قسوة القلوب في نظرك، وكيف يمكن معالجة هذه القسوة؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **19- 23** من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَزِينَةٌ - وَتَفَاخُرٌ - وَتَكَاثُرٌ - سَابِقُوٓاْ - نَّبۡرَأَهَآ - مُخۡتَالٖ - فَخُورٍ.

2 - أبحث في مسألة القضاء والقدر وعلاقتها بالتكليف والحساب.

الدرس 20 سورة الحديد (الآيات: 19-23)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف حال الحياة الدنيا ومصير المتعلقين بها في الآخرة.

2- أن أدرك أسباب نيل مغفرة الله ونيل رضاه ودخول جنته

3- أن أقوي إيماني بالقضاء والقدر، وأن كل ما يقع بقدر الله.

تمهيد

بعد أن ذكر الله تعالى بعض أحوال الناس في الآخرة، أردف ذلك بما يدل على تحقير ملذات الدنيا الزائلة، وكمال نعم الآخرة الباقية، لأن الدائم الخالد مفضل على المؤقت الزائل، ولذا أعقبه بالحث على ما يوصل إلى مغفرة الله وجنته ورضوانه.

فكيف وصف القرآن الكريم حال الدنيا؟ وكيف يتخلص المؤمن من المبالغة في التعلق بالدنيا وزينتها؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (19)

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (20) مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (21) لِّكَيْلَا تَاسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتِيكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍ (22) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (23) [سورة الحديد: 19-23]

الفهم

الشرح:

وَزِينَةٌ : ما يتزين به الإنسان.

وَتَفَاخُرٌ : ما يتفاخر به الناس.

وَتَكَاثُرٌ : ما يتباهى به الناس.

سَابِقُوٓاْ : سارعوا.

نَّبْرَأَهَآ : نخلقها.

مُخْتَالٍ : صاحب الخيلاء.

فَخُورٍ : شديد الفخر على الناس.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - من أي شيء حذر القرآن الكريم في بداية الآيات؟

2 - على ماذا سلى الله المؤمنين في نهاية الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تحذير الناس من التعلق بالدنيا وزينتها:

في هذه الآيات حذرنا الحق سبحانه من الاغترار بالدنيا وزينتها فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال البيضاوي: «لما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حقر أمور الدنيا، أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل، بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال، لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم، وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية، والمنازل الرفيعة، وتفاخر بالأنساب، أو تكاثر بالعدد والعدد» [تفسير البيضاوي: 5/189]

ثم قرر عز وجل ما أشرنا إليه من حقارة الدنيا بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ هذا تشبيه للدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره. والكفّار هنا يراد بهم الزراع، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد الكفار بالله، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا عليها.

جاء في تفسير ابن كثير: «ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا أمران، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان. وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ، غارٌّ لمن

ركن إليه، فإنه يغتر بها، وتُعجِبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة». [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 8 / 25]

ثم قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، والآية تقتضي المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات. وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات. قيل: عرض السماوات ما يقابل طولها، وعليه فإن طولها لا يعلمه إلا الله وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض. وهذه الجنة ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ وهذا دليل على أنها مخلوقة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [تفسير النسفي: 3/440]

ثانيا: تسلية المؤمنين على ما يلحقهم من مصائب:

لما قال الله سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ بين أن المصير إلى الجنة والنار وغيره مما يلحق الانسان، لا يكون إلا بقضاء وقدر، فقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون. قال رسول الله ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» [صحيح مسلم، كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام]

والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر، وقيل: المراد المصيبة في العرف، وهي ما يصيب من الشر خاصة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: القحوط والزلازل

وغير ذلك، و﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: الموت والفقر، وغير ذلك و﴿نَّبۡرَأَهَآ﴾ معناه: نخلقها، والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: إثبات ذلك في كتاب. على الله يسير لاستغنائه تعالى فيه عن العدَّة والمدة؛ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبَرَكم به؛ لكيلا تتأسفوا على ما فاتكم، ومعنى ﴿لَا تَأۡسَوۡاْ﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها، ولا تفرحوا فيها. وقرأ الجمهور ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ بالمد، أي: بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو ﴿بِمَآ أَتَىٰكُمۡۗ﴾ بالقصر، أي: بما جاءكم من الدنيا.

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير، ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أتي بمال كثير: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا».

فالجواب: أن النهي عن الفرح، إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ المختال صاحب الخيلاء، والفخور شديد الفخر على الناس، إذ قل من يُثَبِّت نفسه في حالي الضراء والسراء ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بدل من كل مختال فخور، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار «أعني»، أو مبتدأ وخبره محذوف ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ تذييل يعم البخل وغيره، فكل من أعرض عن طاعة الله فضرر إعراضه يعود عليه؛ لأن الله عز وجل غني غنى مطلقا، لا يلحقه ضرر بخل البخيل وإعراضه، ووصفه بأنه الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- بيان حقيقة الدنيا وملذاتها، وتعظيم الآخرة وما أعد الله فيها لعباده من نعم دائمة.

- كل ما يتمتع به الإنسان في الدنيا من نعم، إنما هي جود إلهي وعطاء رباني، وما يجازى به الإنسان في الآخرة إنما هو فضل من الله ومنة.

- الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المؤمن يطمئن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

التقويم

1 - أوضح ما يدل على تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة؟

2 - هل هذه الآيات تحرم التمتع بنعم الدنيا على الإطلاق؟ ولماذا؟

3 - ما الغاية من التذكير بأن كل ما يصيب الإنسان قد كتبه الله عليه؟

الاستثمار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

[صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أحدد العلاقة بين هذا الحديث والآيات موضوع الدرس.

2 - بم أمر النبي ﷺ في هذا الحديث وعلام نهى؟ ولماذا؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 24- 26 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِالْبَيِّنَاتِ - الْمِيزَانَ - بَأْسٌ - قَفَّيْنَا - ابْتَدَعُوهَا - رَعَوْهَا.

2 - ما هي أقوال المفسرين في إعراب ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾؟ وماذا يترتب على ذلك؟

3 - أبحث في العلاقة بين الرسالات السماوية.

الدرس 21

سورة الحديد (الآيات: 24-26)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

2- أن أدرك أن الشرائع السماوية متفقة في أصولها وقد تختلف في فروعها.

3- أن أقوي إيماني بجميع الأنبياء والمرسلين.

تمهيد

بعد بيان بعض أحوال الناس في الدنيا والآخرة، بين الحق سبحانه في هذه الآيات الغرض من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، مذكرا بتشريف نوح وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة وجعل النبوة والكتاب في ذريتهما، فما من نبي من الأنبياء بعدهما إلا وهو من سلالتهما.

فما هي الغاية من إرسال الرسل؟ وما هي العلاقة بين الأنبياء والشرائع السماوية؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (24) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿25﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿26﴾ [سورة الحديد: 24-26]

الفهم

الشرح:

بِالْبَيِّنَاتِ : المعجزات الواضحات.

الْمِيزَانَ : العدل.

بَأْسٌ : قوة.

قَفَّيْنَا : اتبعنا.

ابْتَدَعُوهَا: استحدثوها.

فَمَا رَعَوْهَا : لم يدوموا عليها.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - أوضح الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ؟

2 - كيف تحققت وحدة دين الأنبياء عليهم السلام؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إرسال الرسل لإقامة العدل بين الناس:

أوضح الله تعالى في هذه الآيات الغرض من بعثة الرّسل عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: أن الله عز وجل أرسل رسله إلى الأمم وأيدهم بالمعجزات التي تدل على نبوتهم وصدقهم في دعواهم ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا جنس الكتب، والميزان العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح، وقال له: مُرْ قومك يزنوا به.

قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ قال أبو حيان: «الظاهر أنه علة لإنزال الميزان فقط، ويجوز أن يكون علة لإنزال الكتاب والميزان معا؛ لأن القسط هو العدل في جميع الأشياء من سائر التكاليف، فإنه لا جور في شيء منها. ولذلك قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]» [البحر المحيط لأبي حيان: 10/114]

ولما كان الناس على فريقين: فريق يقوده العلم والحكمة وقد تقدم ذكره، وفريق يقوده القوة والسلطان أعقب ذلك بما تكون به هذه القوة فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ يعني بالبأس: أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير

وإقامة المباني والعمارات والأدوات الصناعية والسيارات والطائرات والبواخر وغيرها من مرافق الحياة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ هذا تعليل لإنزال الكتاب والميزان والحديد. أطلق فعل ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ على معنى ظهور أثر العلم، أي: وإنما أنزل الكتاب والميزان والحديد؛ ليظهر للناس أثر علم الله بمن ينصره، حتى يشاهد الناس من الذي سيتبع الحق منهم، فينصر دين الله تعالى وينصر رسله، ويستعمل نعمه فيما خلقت له باعتبار كونه لا يرى الله تعالى بعينيه، وإنما يتبع أمره، ويؤمن بوحدانيته ووجوده وعلمه وقدرته عن طريق ما أوحاه سبحانه إلى رسوله ﷺ، فقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من فاعل ﴿يَنصُرُهُ﴾.

وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ تعليل لجملة أرسلنا رسلنا بالبينات إلى آخرها، أي: لأن الله قوي عزيز في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة موقرة، وإنما يحصل ذلك في هذا العالم المنوطة أحداثه بالأسباب المجعولة؛ بأن ينصره الرسل وأقوام مخلصون لله ويعينوا على نشر دينه وشرائعه. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور بتصرف: 418/27]

ثانيا: تتابع الرسل ووحدة الشرائع في أصولها:

بعد أن بين سبحانه أنه أرسل الرسل بالبينات، وأمر الخلق بنصرتهم، ذكر في هذه الآيات العلاقة بين هؤلاء الرسل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ الجملة معطوفة على جملة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من عطف الخاص على العام، أي: والله لقد أرسلنا رسلا كثيرين، وأرسلنا نوحا وإبراهيم،

وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، منغمسون في المعاصي والآثام.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: ثم جئنا من بعدهم برسلنا، و«قفينا» مأخوذ من القفا، أي: جاء بالثاني في قفا الأول، وخص من أولئك الرسل عيسى عليه السلام لقربه من عصر النبي ﷺ، ولأنه كان آخر الأنبياء من بني إسرائيل، وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ أي: وأنزلنا عليه الإنجيل الذي فيه البشارة بمحمد ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم لبعض كما وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ بأنهم رحماء بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال للعبادة والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا زهدا فيها، ومعنى ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، و﴿رَهْبَانِيَّةً﴾ معطوف على ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ صفة لـ ﴿رَهْبَانِيَّةً﴾، والجَعل هنا بمعنى الخلق.

وقوله: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا بمعنى، فرضنا وشرعنا وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم، ابتغاء رضوان الله.

وثانيهما: أن الاستئناف متصل، والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله، والأول أرجح؛ لقوله ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: «ما كتبناها عليهم، لكن ابتدعوها فما رعوها حق رعايتها» أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء

بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها، وإن رعاها بعضهم. والضمير في ﴿رَعَوْهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم؛ وهو ما يتوافق مع قول من قال إن من دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه وهو قول أبي حنيفة، وأما المالكية فالأصل عندهم أن المندوب لا يصير واجبا بالشروع إلا في مسائل، وهي الصلاة والصوم والاعتكاف والحج والعمرة والطواف والائتمام. وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: فأعطينا الذين آمنوا إيمانا صحيحا بعيسى ثم آمنوا بمحمد ﷺ ثوابهم مضاعفا ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ أي: خارجون عن حدود الله وطاعته، وهذا يدل على أن الذين خرجوا عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام أكثر من الذين آمنوا به إيمانا صحيحا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى مجموعة من المقاصد التربوية، منها:

- الدين عند الله واحد في مصدره وأصوله، والاختلاف إنما هو في الأحكام الفرعية التي تختلف باختلاف الأزمان وتتطور بتطور الإنسان.

- جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى عقيدة التوحيد التي تحرر الإنسان وتقوم على قيم العدل والإنصاف والفضيلة.

- الغاية من توحيد الله والإيمان والاستجابة لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إيصال الإنسان إلى رضوان الله والسعادة الأبدية.

التقويم

1 - ما الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام؟

2 - أوضح إعراب ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ ومعناها.

3 - أبين العلاقة بين الرسالات السماوية من خلال الآيات.

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: «فِي وَجْهِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَدِيدِ وُجُوهٌ. أَحَدُهَا: وَهُوَ الَّذِي أَقُولُهُ أَنَّ مَدَارَ التَّكْلِيفِ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: فِعْلُ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَالثَّانِي: تَرْكُ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالذَّاتِ، لَوْ كَانَ هُوَ التَّرْكُ لَوَجَبَ أَنْ لَا يُخْلَقَ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ كَانَ حَاصِلًا فِي الْأَزَلِ، وَأَمَّا فِعْلُ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالنَّفْسِ، وَهُوَ الْمَعَارِفُ، أَوْ بِالْبَدَنِ، وَهُوَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، فَالْكِتَابُ هُوَ الَّذِي يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى فِعْلِ مَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَفْعَالِ النَّفْسَانِيَّةِ؛ لِأَنْ يَتَمَيَّزَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْحُجَّةُ مِنَ الشُّبْهَةِ. وَالْمِيزَانُ هُوَ الَّذِي يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى فِعْلِ مَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ فِي الْأَعْمَالِ هُوَ مَا يَرْجِعُ إِلَى مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ. وَالْمِيزَانُ هُوَ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْعَدْلُ عَنِ الظُّلْمِ وَالزَّائِدُ عَنِ النَّاقِصِ. وَأَمَّا الْحَدِيدُ فَفِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، وَهُوَ زَاجِرٌ لِلْخَلْقِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْكِتَابَ إِشَارَةٌ إِلَى الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وَالْمِيزَانَ إِلَى الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَالْحَدِيدَ إِلَى دَفْعِ مَالَا يَنْبَغِي، وَلَمَّا كَانَ أَشْرَفُ الْأَقْسَامِ رِعَايَةَ الْمَصَالِحِ الرُّوحَانِيَّةِ،

ثُمَّ رِعَايَةَ الْمَصَالِحِ الْجُسْمَانِيَّةِ، ثُمَّ الزَّجْرَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، رُوعِيَ هَذَا التَّرْتِيبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ» [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي:: 29/470]

أتأمل النص وأوضح المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين 27 و 28 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: كِفْلَيْنِ - اتَّقُوا اللَّهَ - وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ - يُؤْتِكُمْ.

2 - أبحث في أقوال المفسرين عن المخاطب بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

الدرس 22

سورة الحديد (الآيتان: 27-28)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف جزاء الإيمان بالله ورسوله وآثاره على الإنسان.

2- أن أدرك فضل المومنين وجزاءهم عند الله.

3- أن أقوي إيماني بأن الفضل كله لله يوتيه من يشاء من عباده.

تمهيد

بعد أن ذكر سبحانه أن من آمن من أهل الكتاب إيمانا صحيحا، لهم أجرهم عند ربهم، بين هنا أن من آمن منهم بعيسى ثم بمحمد ﷺ، يؤتيهم الله أجرهم مرتين لإيمانهم بنبيهم، ثم بمحمد ﷺ من بعده، ثم ذكر أن ذلك كله فضل من الله، وفضل الله يوتيه من يشاء من خلقه.

فما جزاء من آمن بمحمد ﷺ بعد إيمانه بالأنبياء قبله؟ وما أساس هذا الجزاء؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُوتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (27) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (28)﴾ [سورة الحديد: 28-29]

الفهم

الشرح:

كِفْلَيْنِ : نصيبين.

ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ : خافوا عقاب الله.

وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ: صدقوا بمحمد ﷺ واتبعوه.

يُؤْتِكُمْ : يعطكم.

استخلاص مضامين الآيتين:

1 - بم وعد الله المؤمنين بمحمد ﷺ في الآيتين؟

2 - لماذا ضاعف الله أجور المؤمنين في الآيات؟

التفسير

اشتملت الآيتان على ما يأتي:

أولا: وعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة ومضاعفة الأجور:

في هاتين الآيتين يبين الحق سبحانه أن من آمنوا بعيسى ثم بمحمد ﷺ بعده، يؤتيهم الله أجرهم مرتين، حيث يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان، وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى ﴿ءَامِنُواْ﴾ دوموا على الإيمان و اثبتوا عليه.

وثانيهما: أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى، آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: نصيبين، وقال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ (...) وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ». [صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين] ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى. ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 123] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: ويغفر لكم ما اقترفتم من المعاصي والآثام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مبالغة في المغفرة والرحمة، أي: عظيم المغفرة واسع الرحمة. فقد وعد الله عز وجل هؤلاء المؤمنين بأمور ثلاثة: أن يضاعف لهم الأجر، وأن يجعل لهم نورا يمشون به، وأن يغفر لهم ذنوبهم.

ثانيا: مضاعفة أجور المؤمنين فضلا من الله:

يعلل الحق سبحانه ما خص به هؤلاء المومنين من أجر ونور ومغفرة فيقول سبحانه: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يرى جمهور المفسرين أنَّ ﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا﴾ صلة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن عباس، وقرأ ابن مسعود «لكيلا يعلم».

والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمِنوا بمحمد ﷺ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا: أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يسلموا، فلم ينالوا شيئا من ذلك.

وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين، من تضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد روي في سبب نزول الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم، وهو يقوي هذا القول، وروي أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

وقد ختم الله عز وجل السورة بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والمعنى: لا تكترثوا بعدم علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، وبأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، أي: لا تكترثوا بجهلهم المركب في استمرارهم على الاغترار بأن لهم منزلة عند الله تعالى، فإن الله عالم بذلك وهو خلقهم. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: 6] وجملة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تذييل يعم الفضل الذي آتاه الله أهل الكتاب المؤمنين بمحمد ﷺ وغيره من الفضل. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 433/27].

ثالثا: مقاصد الآيتين:

ترشد الآيتان إلى مجموعة من المقاصد التربوية، منها:

- التأكيد على وحدة الرسالات السماوية في مصدرها وأصولها؛ وأن جميعها يدعو إلى الإيمان.

- فضل من آمن بالرسالات السابقة ثم آمن بمحمد ﷺ.

- ميزة المؤمنين من هذه الأمة أنهم يؤمنون بكل الرسالات السابقة.

- تفضيل بعض الناس على بعض هو فضل من الله، وفضل الله يوتيه من يشاء.

التقويم

1 - أوضح المقصود بالنداء في بداية الآيتين.

2 - ما هو سبب مضاعفة الأجور للمؤمنين المقصودين في الآيتين؟

3 - ما معنى قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾؟

الاستثمار

قال ابن عجيبة رحمه الله: «تَنْسَحِبُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ طَرِيقِ الْإِشَارَةِ عَلَى مَنْ كَانَتْ فِي أَسْلَافِهِ خُصُوصِيَّةُ وِلَايَةٍ أَوْ صَلَاحٍ، أَوْ شَرَفِ عِلْمٍ أَوْ رِئَاسَةٍ مّا، ثم ظَهَرَتْ التَرْبِيَةُ الحَقِيقِيّةُ فِي غَيْرِ أَسْلَافِهِ، فَإِنْ حَطَّ رَأْسَهُ وَصَدَّقَ بِالخصوصيَّةِ لِغَيْرِهِ أُعْطِيَ أَجْرَه مَرَتَينِ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي مَقَامِ الوِلَايَةِ، وَإنمَا كَانَتْ تَنْتَقِلُ دَوْلَةُ الوِلَايَةِ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الخصوصِيَّةِ المتَقَدِمَةِ أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ» [البحر المديد، لابن عجيبة، 7/332].

أوضح المعنى العام للنص مع تحديد علاقته بالآيتين موضوع الدرس.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **1- 4** من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: سَمِعَ - تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا - مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ - وَزُورٗاۚ - يَتَمَآسَّاۚ.

2- أبحث في أحكام الظهار وكفارته.

الدرس 23

سورة المجادلة (الآيات: 1-4)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مفهوم الظهار وحكمه وكفارته.

2- أن أدرك الحكمة من تحريم الظهار ومن كفارته.

3- أن امتثل أمر الله عز وجل ولا أحرم ما أحل الله.

تمهيد

سورة المجادلة مدنية وآياتها إحدى وعشرون، وهي كباقي السور المدنية تعالج أمراض المجتمع من خلال التشريع السليم لبعض مشكلاته، وبيان الآداب الإسلامية في بعض قضاياه، وقد تناولت الآيات موضوع الدرس بعض أحكام الظهار وكفارته.

فما هي قصة تشريع كفارة الظهار؟ وما الحكمة من هذه الكفارة؟

الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (1) الذين يظّهّرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاء ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور (2) والذين يظّهّرون

مِّن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4) [سورة المجادلة: 1-4]

الفهم

الشرح:

سَمِعَ : أجاب وقبل.

تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا: تراجعك الكلام في أمر زوجها.

مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ : المنكر الذي لا تعرف له حقيقة.

وَزُورًا : كذبا.

يَتَمَاسَّا : يجتمعا.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - فيمن نزلت قصة المجادلة؟

2 - ما هي أحكام الظهار المفصلة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: قصة المرأة التي حاورت النبي ﷺ في ظهار زوجها منها:

افتتح الحق سبحانه سورة المجادلة بقصة المرأة التي جادلت النبي ﷺ في أمر زوجها

حيث قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. نزلت الآية في خولة بنت ثعلبة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري، أخي عبادة بن الصامت، حيث ظاهر منها. وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا، فلما فعل أوس بن الصامت ذلك جاءت امرأته خولة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوسا أكل شبابي، ونثرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني. فقال رسول الله ﷺ: ما رأيتك إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله، لا تفعل؛ إني وحيدة ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته، فراجعته، فهذا هو جدالها. وكانت ﴿تَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فتقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري. وروي أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغارا، إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا.

وَاللَّهُ عز وجل -وهو السميع العليم- يسمع محاورتها ومراجعتها لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ المحاورة هي المراجعة في الكلام، قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة، وكان بعض كلام خولة يخفى علي، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة؟ فقال: والله ما أملكها. فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله ما أقدر. فقال له: أتطعم ستين مسكينا؟ فقال لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء. فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا، وقيل: بثلاثين صاعا، ودعا له، فكفّر بالإطعام، وأمسك زوجته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ المقصود به التعليل لما قبله، أي: إن الله عز وجل سميع لمن يناجيه ويتضرع إِليه، بصير بأعمال العباد.

ثانيا: بعض أحكام الظهار وكفارته:

بعد قصة المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ في زوجها، تأتي هذه الآيات لتبين أهم أحكام الظهار، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء، وبحذفها وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد، وهو إيقاع الظهار. والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ويجري مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرّمة على التأبيد، كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره، كقوله: أنت علي كأمي، أو كبطن أمي، أو يدها، أو رجلها، خلافا للشافعي؛ فإن ذلك كله عنده ليس بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية. وقاس مالك عليها؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام.

وقوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ﴾ رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًّا باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب. وإنما جعله كذبا؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه. وهي لا تصير كذلك أبدا.

والظهار محرم. ويدل على تحريمه أربعة أشياء، أحدها: قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ﴾ فإن ذلك تكذيب للمظاهر، والثاني: أنه سماه منكرا، والثالث: أنه سماه زورا، والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب، وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني، حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث، حتى يعجز عن الثاني.

فالأول تحرير رقبة، والثاني صيام شهرين متتابعين، والثالث إطعام ستين مسكينا، والطعام يكون من غالب قوت البلد.

وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل. فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يُكَفِّر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ذلكم أي ذلكم الحكم بالكفارة. توعظون به لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية. [تفسير البيضاوي: 193/5]

وفي ختام هذه الآيات ذكر الحق سبحانه الحكمة من كفارة الظهار فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذكر ابن عطية رحمه الله: الإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم، ونقل عن الزمخشري: أن المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وقال: وهذا أظهر لأنه أعم. [المحرر الوجيز، لابن عطية: 352/2].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- تأكيد الإسلام على حرية التعبير والتفكير والمجادلة بالتي هي أحسن.

- أن التشريع المتعلق بالفروع والمرتبط بعادات وأعراف الناس قابل للتجديد والتغيير بمرور الزمن وتغير الأعراف.

- عدالة التشريع الإسلامي ومرونته ومراعاته استطاعة الإنسان وحالته المادية والصحية وغيرها.

- أن الشريعة الإسلامية نظمت مختلف مجالات الحياة.

- العدل ورفع الحرج عن الناس هو غاية التشريع الإسلامي.

التقويم

1- أستعرض قصة نزول مطلع سورة المجادلة؟

2- كيف يكفر المظاهر ليعود لزوجته التي ظاهر منها؟

3- ما الحكمة من تشريع كفارة الظهار؟

الاستثمار

رُوِيَ أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ جَاءَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ عَجُوز كَبِيرَةٌ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ قَالَ: فَجَنَحَ إِلَيْهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِهَا، وَتَنَحَّى النَّاسُ عَنْهَا، فَنَاجَاهَا طَوِيلًا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ. قَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ هِيَ؟ هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ؛ فَوَاللَّهِ لَوْ قَامَتْ هَكَذَا إِلَى اللَّيْلِ لَقُمْتُ مَعَهَا إِلَى أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ، وَأَنْطَلِقَ لِأُصَلِّيَ ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا. [أحكام القران لأبي بكر بن العربي: 4/185]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - كيف تعامل عمر رضي الله عنه مع خولة بنت ثعلبة.

2 - أوضح مكانة المرأة في الإسلام من خلال النص والآيات موضوع الدرس.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 5 - 7 من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يُحَآدُّونَ - كُبِتُواْ - أَحْصَىٰهُ - شَهِيدٌ - نَّجْوَىٰ.

2- ما هو جزاء من يعاند الله ورسوله ويخالف شريعته.

الدرس 24

سورة المجادلة (الآيات: 5-7)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف جزاء المحادين لله ورسوله المخالفين لشرعه.

2- أن أدرك إحاطة علم الله الذي لا تخفى عليه خافية.

3- أن أستحضر مراقبة الله تعالى لألتزم شريعته في السر والعلن.

تمهيد

بعد ما تقدم بيانه من أحكام الظهار، بين سبحانه وتعالى في هذه الآيات ما يلحق المخالفين لشرعه من خزي وهوان في الدنيا، وعذاب ومهانة في الآخرة، ثم أخبر سبحانه أنه مطلع عليهم وعلى أعمالهم، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، وسيخبرهم بذلك ويجازيهم عليه يوم الجزاء.

فما الجزاء الذي أعده الله للمحادين لله ورسوله؟ ومتى يخبرهم الله تعالى بأعمالهم القبيحة ويحاسبهم عليها؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑤ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم

بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَيٰهُ اُ۬للَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿6﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اَ۬للَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي اِ۬لْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ اِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ اِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ اِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ إِنَّ اَ۬للَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿7﴾ [سورة المجادلة: 5-7]

الفهم

الشرح:

يُحَآدُّونَ : يخالفون ويعادون.

كُبِتُواْ : هلكوا ولعنوا.

أَحْصَيٰهُ: عده.

شَهِيدٌ : مشاهد.

نَّجْوَىٰ : الكلام الخفي.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - كيف رد الله على المحادين له ولرسوله ؟

2 - ماذا تضمنت الآيات عن علم الله تعالى ؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: جزاء الذين يعادون اللّه ويخالفون شريعته:

بعد الحديث عن أحكام الظهار، بين الله تعالى جزاء المعادين لله ورسوله المخالفين لشرعه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يخالفونهما ويعادونهما ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: هلكوا وقيل: لعنوا والكبت وقيل كبت الرجل، إذا بقي حزينا.

والمعنى أن الذين يخالفون ويعادون الله ورسوله جزاؤهم الهلاك والإهانة، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ جملة معترضة بين جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وجملة ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ أي: يصدر منهم ذلك وقد أنزلنا عليهم آيات واضحات تبين حدود الله وأحكامه ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ أي: في مقابل استكبارهم عن اتباع شرع الله.

ثم قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ أي: يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئا. [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 72/8]

ثانيا: تأكيد إحاطة علم الله بكل شيء:

بعد أن بين الله عز وجل أنه عليم بأفعالهم وأحوالهم، أقام سبحانه الأدلة على إحاطة علمه وشموله، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الاستفهام للتقرير، والرؤية بمعنى العلم والادراك القلبي لان العلم لا يرى، والخطاب لكل من هو مؤهل للنظر. وقوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعم كل شيء فيهما، إذ علمه محيط بكل شيء ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فيكون «ثلاثة» مضافا إليه، أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون «ثلاثة» بدلا أو صفة، والأول أحسن ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني بعلمه وإحاطته ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي: ما يكون من خمسة إلا هو سادسهم بعلمه وإحاطته، ولا أقل من ذلك الأعداد ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه. قال البيضاوي: «وتخصيص العددين، إما لخصوص الواقعة، فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين، أو لأن الله تعالى وتر يحب الوتر، والثلاثة أول الأوتار، أو لأن التشاور لا بد له من اثنين، يكونان كالمتنازعين، وثالث يتوسط بينها» [تفسير البيضاوي: 5/194]

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ثم إن الله عز وجل ينبئ هؤلاء المتناجين بما قاموا به من أعمال لتقريعهم وجعلهم يندمون؛ لأنه عليم بسرهم وعلانيتهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- التأكيد على الإيمان بالله عز وجل والالتزام بأحكامه والتسليم بها وعدم معارضته ومخالفة شريعته.

- اليقين بسعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.

- استحضار سعة علم الله ومراقبته في السر والعلن.

التقويم

1- ما هو جزاء من يعادي الله ورسوله؟

2- ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؟

3- ما هي أثر مراقبة الله على سلوك الإنسان؟

الاستثمار

عَن ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» [سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب ذكر الذنوب]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- ما هي عاقبة انتهاك حرمات الله في السر والعلانية؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 8 - 10 من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَيَتَنَٰجَوۡنَ – بِٱلۡإِثۡمِ – وَٱلۡعُدۡوَٰنِ – يَصۡلَوۡنَهَا.

2- أبحث فيما يجوز وما لا يجوز من التناجي.

الدرس 25

سورة المجادلة (الآيات: 8-10)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف ذم الله تعالى للتناجي القبيح وجزاء المصرين عليه.

2- أن أميز بين التناجي المحظور والتناجي المشروع.

3- أن أتحلى بالأخلاق الحسنة وأتجنب الأخلاق السيئة.

تمهيد

بعد أن بين الله عز وجل أن علمه محيط بكل شيء، ذكر هنا حال أولئك المصرين على النجوى المحرمة بعد ما نهوا عنها، حيث بين جزاءهم الأخروي ومصيرهم المحتوم، ليذكرنا في نهاية الآيات بآداب التناجي الجائز شرعا وهو التناجي بالبر والتقوى الذي لا إثم فيه ولا عدوان.

فما هو التناجي المحظور؟ وما السر في هذا المنع؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ

فِےٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اَ۬للَّهُ بِمَا نَقُولُۖ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِيسَ اَ۬لْمَصِيرُۖ (8)
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِالِاثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ اِ۬لرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْاْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْو۪يٰۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ اَ۬لذِےٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَۖ (9) إِنَّمَا اَ۬لنَّجْو۪يٰ مِنَ اَ۬لشَّيْطَٰنِ لِيُحْزِنَ
اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا اِلَّا بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَعَلَى اَ۬للَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اِ۬لْمُومِنُونَۖ (10)

[سورة المجادلة: 8-10]

الفهم

الشرح:

وَيَتَنَٰجَوْنَ : يتحدثون سرا.

اِلِاثْمِ : المعصية.

اِلْعُدْوَٰنِ : الظلم.

يَصْلَوْنَهَا : يقاسون حرّها.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هو الجزاء الوارد في الآيات؟

2 - ما هي الآداب التي تضمنتها الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: جزاء المصرين على التناجي المحرم:

بين الحق سبحانه في هذه الآيات جزاء المصرين على التناجي بعد ما نهوا عنه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ قيل: نزلت في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا. وقيل: نزلت في المنافقين. والأحسن حمله على العموم.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ المقصود بالذي حيى الله به رسوله السلام الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل:61].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيا لعذبنا الله بإذايته، فقال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يكفيهم ذلك عذابا ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المرجع والمستقر، وهو جهنم.

ثانيا: آداب المناجاة المشروعة:

بين الحق سبحانه في هذه الآيات بعض آداب المناجاة حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ جاء في تفسير ابن عطية: وصى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بأن لا يكون لهم تناج في مكروه، وذلك عام في جميع الناس إلى يوم القيامة. وخص الإثم بالذكر لعمومه وَالعدوان لعظمته في نفسه؛ إذ

هي ظلامات العباد، وكذلك معصية الرسول، ذكرها طعنا على المنافقين؛ إذ كان تناجيهم في ذلك.

ثم أمر بالتناجي بِالْبر وَالتقوى وذكَّر بالحشر الذي معه الحساب ودخول أحد الدارين، فقال: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المحرر الوجيز، لابن عطية: 5 / 277]

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قيل: يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه، وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قال ابن كثير: «إنما النجوى وهي المسارَّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ليسوءهم، وليس ذلك بضارهم شيئا إلا بإذن الله. ومن أحس من ذلك شيئا؛ فليستعذ بالله، وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله». [تفسير القران العظيم لابن كثير: 8/44]

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- الحث على مراعاة حقوق الناس واحترام شعورهم، ومن شأن التناجي أن يسبب أضرارا نفسية بالشخص المعني بهذه المناجاة.
- الإسلام يدعو إلى نبذ العداوة والبغضاء والتنازع بين أفراد المجتمع.
- النهي عن اتباع سبيل المنافقين في المعتقدات والمعاملات.

التقويم

1 - ما هو الأمر الذي وقع منه التعجب في بداية الآيات؟

2 - ما هي آداب المناجاة المشروعة؟

3 - ما السر في نهي القرآن الكريم عن النجوى؟

الاستثمار

قال ابن العربي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ .... الخ [النساء: 113]: «وَالَّذِي عِنْدِي فِيهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْإِخْلَاصُ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَوِيَ ظَاهِرُ الْمَرْءِ وَبَاطِنُهُ. وَالثَّانِي: النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

فَالنَّجْوَى خِلَافُ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَبَعْدَ هَذَا فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ لِلْخَلْقِ مِنْ أَمْرٍ يَخْتَصُّونَ بِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَيَخُصُّ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَرَخَّصَ فِي ذَلِكَ بِصِفَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ؛ وَالْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَالسَّعْيِ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ». [أحكام القران، لابن العربي: 627/1]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح من خلال النص سبب تحريم النجوى.

2 - أكتب في بضعة أسطر آثار النجوى في إفساد العلاقات الإنسانية.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **11- 13** من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **تَفَسَّحُوا** - **انشُزُوا** - **نَٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ** - **ءَأَشْفَقْتُمْ**.

2 - أبحث في كيفية التأدب مع رسول الله ﷺ بعد مماته.

الدرس 26	سورة المجادلة (الآيات: 11-13)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض آداب مجالسة النبي ومناجاته.

2- أن أدرك حكمة تشريع الصدقة لمناجاته النبي ﷺ في أول الإسلام.

3- أن أتحلى بالآداب الشرعية لمجالس العلم ومجالسة العلماء.

تمهيد

بعد ما نهى الحق سبحانه عن النجوى عموما، وبين أنها من عمل الشيطان، جاءت هذه الآيات لترشد إلى بعض آداب مجلس رسول الله ﷺ ومناجاته، وقد أخر الحديث عن مناجاة النبي ﷺ عن الحديث عن النجوى بصفة عامة لفضله وتميزه ببعض الأحكام التي تخصه.

فما هو أدب مجلس رسول الله ﷺ؟ وما هو أدب مناجاته؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجْلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ

نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿13﴾ [سورة المجادلة: 11-13]

الفهم

الشرح:

تَفَسَّحُواْ : توسعوا دون قيام.

ٱنشُزُواْ : ارتفعوا وقوموا.

نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ: أردتم مناجاته والحديث معه.

ءَأَشْفَقْتُمْ : خفتم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم أوصى الله تعالى من قصد مجلس رسول الله ﷺ؟

2- علام حثت الآيات لمناجاة رسول الله ﷺ؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: آداب مجلس الرسول ﷺ:

بعد ما نهى الله تعالى عن التناجي الذي هو سبب التباغض، أمر المومنين بما هو سبب للتواد والتقارب، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ

اختلف في سبب نزول الآية فقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه. وقيل: أقام النبي ﷺ قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية. وقيل غير ذلك.

ثم اختلفوا هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدل على ذلك قراءة ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ بالإفراد. وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدل على ذلك قراءة ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس.

والتفسح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا» [مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله ابن عمر]

وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد، هل هو على التحريم أو الكراهة؟ وقوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع لكم في جنته ورحمته.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ أي: وإذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا، فافعلوا ذلك. واختلف في هذا النشوز المأمور به، فقيل: إذا أُمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحيانا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام. وقيل: المراد القيام في المجلس للتوسع ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ اختلف في هذه الآية على قولين:

أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كقوله: جاءني العاقل الكريم، وأنت تريد رجلا واحدا.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء، الصنفين جميعا درجات، فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء،

وللعلماء أيضا، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر كقوله ﷺ: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ» [سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم]، وقوله ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» [سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة] وقوله عليه السلام: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ» [سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة].

فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تذييل معناه أنه عز وجل خبير بمن يستحق الفضل والثواب ومن لا يستحقه.

ثانيا: آداب مناجاة رسول اللّه ﷺ:

هذه الآيات تتحدث عن بعض آداب مناجاة رسول الله ﷺ ومخاطبته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ روي عن ابن عباس في سبب نزول الآية: أن قوما من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة لتظهر منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحا لا يرد أحدا، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة. وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ تعريف بحكمة الأمر بالصدقة قبل نجوى الرسول ﷺ ليرغب فيها الراغبون. (....) وعذر الله العاجزين عن تقديم الصدقة بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإن لم تجدوا ما تتصدقون به قبل النجوى غفر الله لكم المغفرة التي كانت تحصل لكم لو تصدقتم؛ لأن من نوى أن يفعل الخير لو قدر عليه كان له أجر على نيته. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 28/45]

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسخها قوله بعدها: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام.

واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟

فقال قوم: لم يعمل بها أحد. وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روي أنه كان له دينار، فصرفه بعشرة دراهم، وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم. وقيل: تصدق في كل مرة بدينار.

ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ والمراد بالتوبة هنا عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها، أو تخفيفها بعد وجوبها ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلفتم به من الصدقة عند المناجاة. وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: أطيعوا أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ. في كل أموركم وأحوالكم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: محيطٌ بكل أعمالكم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تدل الآيات على مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- الدعوة إلى التحلي بالقيم والأخلاق التي تسهم في إشاعة المودة وتعزيز العلاقات الإنسانية.

- الحث على تعظيم الرسول ﷺ وإعلاء شأنه.

- الندب إلى الصدقة لأنها من محاسن الأعمال ووجوه التّكافل بين الناس.

- الأمر بإقامة الصلاة وأداء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

التقويم

1 - ما أدب مجلس رسول اللهﷺ؟ وهل هذا الأدب خاص بمجلسه؟

2 - ما الحكمة من فرض الصدقة على من يريد مناجاة رسول الله؟ ولماذا نسخ هذا الحكم؟

3 - ما معنى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾؟

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: « أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فَهُوَ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ مَا يَطْلُبُ النَّاسُ الْفُسْحَةَ فِيهِ مِنَ الْمَكَانِ وَالرِّزْقِ وَالصَّدْرِ وَالْقَبْرِ وَالْجَنَّةِ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَبْوَابَ الْخَيْرِ وَالرَّاحَةِ، وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُقَيِّدَ الْآيَةَ بِالتَّفَسُّحِ فِي الْمَجْلِسِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى الْمُسْلِمِ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ فِي قَلْبِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا زَالَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ» [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر] » [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 29/494].

أتأمل النص وأوضح ما يشير إليه من الدعوة إلى فعل الخير ونفع الغير.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 14- 19 من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: غَضِبَ - ٱسْتَحْوَذَ - كَتَبَ - حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ.

2- أعدد صفات المنافقين الواردة في الآيات.

الدرس 27

سورة المجادلة (الآيات: 14-19)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض أفعال المنافقين وصفاتهم.

2- أن أدرك خطورة النفاق وجزاء المنافقين عند الله عز وجل.

3- أن أصدق في أقوالي وأفعالي، وأخلص في معاملتي مع الله ومع الناس.

تمهيد

بعد أن ذكر القرآن الكريم أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتنافسون في القرب من مجلسه حتى كان مجلسه ﷺ يضيق بهم، حيث أمرهم الله أن يتفسحوا في مجالسهم؛ عاد لعرض بعض أفعال قوم من المنافقين وصفاتهم، وفضح أفعالهم الشنيعة، وتصرفاتهم القبيحة.

فما هي أحوال هؤلاء المنافقين؟ وماذا أعد الله لهم من الجزاء في الآخرة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (16) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَٰلِدُونَ ﴿17﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿18﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿19﴾ [سورة المجادلة: 14-19]

الفهم

الشرح:

غَضِبَ : سخط.

ٱسْتَحْوَذَ : غلب.

كَتَبَ : قضى وقدر.

حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ: جنوده وأتباعه.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ماذا أنكر الله عز وجل على المنافقين في الآيات؟

2 - ما هي الصفات المذكورة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض أفعال المنافقين:

لقد فضح الله جل وعلا في هذه الآيات بعض أفعال المنافقين، منها توليهم لغير المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، وقد نزلت الآية

في قوم من المنافقين الذين يتولون المسلمين في الظاهر وغير المسلمين وهم اليهود في الباطن.

والحالة أنهم ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: 142]

ثم ذكر أنهم يؤكدون إيمانهم وإخلاصهم بالأيمان الكاذبة فقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مرارا كثيرة. وهو مذكور في السير وغيرها.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: أن الله تعالى هيأ لهم عذابا شديدا على نفاقهم وأفعالهم القبيحة ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تعليل لما أعد لهم من العذاب الشديد، أي: إن هذا العذاب الشديد سببه ما ذكر من أفعالهم.

ثانيا: بعض صفات المنافقين:

بعد أن ذكر المولى عز وجل موقف المنافقين من الإسلام، بين بعض صفاتهم فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر للوقاية، وقرئ «إيمانهم» بكسر الهمزة. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هذا بيان لجزائهم على أعمالهم المذكورة، أي: أن الله تعالى أعد لهم عذابا يهينهم ويذلهم.

ثم أرشد الحق سبحانه إلى أن ما ظنوه منجيا لهم من عذاب الله من المال والأولاد لن ينفعهم؛ فقال: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله عز وجل، إنهم كانوا على الهدى والاستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة. ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: حلفهم ذلك لربهم عز وجل. ثم قال منكرا عليهم حسبانهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب. [تفسير القران العظيم، لابن كثير: 8/52].

ثم بين السبب الذي أوقعهم في النفاق وأوصلهم إلى ما وصلوا إليه فقال: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي: غلب عليهم الشيطان وتملك قلوبهم فأنساهم ذكر الله «فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم. ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: جنوده وأتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد. [تفسير البيضاوي: 5/195]

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- الحث على الالتزام بحقوق الله عز وجل، وهي الإيمان به، والإخلاص له والصدق في الأقوال والأفعال.

- المحافظة على حقوق الغير من خلال الوفاء للجماعة التي ينتمي الإنسان إليها، والوطن الذي ينتسب إليه، وتجنب الغدر والخيانة، وهو ما يسهم في تحقيق التضامن والتعاون بين مكونات المجتمع.

- الحساب والعقاب الأخروي يكون بالقسط وفق عمل الإنسان خيرا أو شرا.

- تزكية النفوس وصفاؤها وتطهيرها من خبث النفاق وأمراض القلوب، وهي غاية العبادة التي خلق الإنسان من أجلها.

التقويم

1- أعدد صفات المنافقين الواردة في الآيات.

2- أوضح خطورة النفاق وآثاره على المجتمع.

3- ما الذي غر المنافقين وجعلهم يتمادون في الضلال والبعد عن الحق.

الاستثمار

« وَقَدْ شَاعَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْعَرَبِ كَوْنُ مَنْ يُتَّهَمُ بِالنِّفَاقِ مِنْ جُمْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَصَحَابَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَنْصَارِ الدِّينِ بِحُكْمِ ظَاهِرِهِمْ، فَلَوْ قَتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِنِفَاقِهِمْ وَمَا يَبْدُرُ مِنْهُمْ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ، لَوَجَدَ المنفِّر ما يقول، ولارتاب الشَّارِدُ، وَأَرْجَفَ الْمُعَانِدُ، وَارْتَاعَ مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَلَزَعَمَ الزَّاعِمُ وَظَنَّ الْعَدُوُّ الظَّالِمُ أَنَّ الْقَتْلَ إِنَّمَا كَانَ لِلْعَدَاوَةِ وَطَلَبِ أَخْذِ التِّرَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَعْنَى مَا حَرَّرْتُهُ مَنْسُوبًا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: « لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ »، وَقَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِمْ » [الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: 501/2]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- لماذا لم يعاقب النبي ﷺ المنافقين رغم علمه بهم؟

2- ما هي الأبعاد التربوية لموقف النبي ﷺ من المنافقين؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: **20- 21** من سورة المجادلة وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: الْأَذَلِّينَ – كَتَبَ – بِرُوحٍ.

2- لماذا كان من يحاد الله ورسوله أذل خلق الله؟

3- ما هو جزاء المؤمنين الصادقين المذكور في الآيات؟

الدرس 28

سورة المجادلة (الآيتان: 20-21)

أهداف الدرس

1- أن أتعرف صفات المؤمنين الصادقين.

2- أن أدرك أن الغلبة لله ورسوله والذل والمهانة للمعاندين.

3- أن ألازم الصالحين واتصف بصفاتهم وأتخلق بأخلاقهم.

تمهيد

بعد أن ذكر الله تعالى بعض أحوال المنافقين، بين هنا سبب خسرانهم وهو أنهم شاقوا الله ورسوله وعصوا أمرهما، فكتب الله عليهم الذلة في الدنيا والآخرة، وكتب العزة لله ولرسوله وللمومنين الذين قوّاهم الله بالطمأنينة والثبات على الإيمان، والفوز والفلاح في الآخرة.

فلماذا كان جزاء المعاندين الذل والمهانة؟ وكيف تكون الغلبة لله ورسوله؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (20) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (21)

[سورة المجادلة: 20-21]

الفهم

الشرح:

ٱلْأَذَلِّينَ : أذل خلق الله.

كَتَبَ : قضى وقدر.

بِرُوحٍ : بلطف وهدى وتوفيق.

استخلاص مضامين الآيتين:

1 - لمن تكون الغلبة، ولمن يكون الذل؟

2 - من هم المؤمنون الصادقون في الآيتين؟

التفسير

اشتملت الآيتان على ما يأتي:

أولا: الغلبة لله ورسوله والذل لمن يخالف أمرهما:

بعد الحديث عن المنافقين وبيان أحوالهم وتصرفاتهم القبيحة يؤكد القرآن الكريم على جزاء المحادين لله ورسوله، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي:

إن الذين يخالفون ويعادون الله ورسوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ أي: أولئك في جملة الأذلين، أي: معهم.

ثم بين الله عز وجل عزة المؤمنين فقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي: قضى الله وقدر أن الغلبة لله ورسله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

ثانيا: من صفات المؤمنين الصادقين:

بعد أن أكدت الآية السابقة أن الذل والمهانة هو جزاء من يعاند الله ورسوله وأن الغلبة لله ورسوله، عاد الحق سبحانه لينوه بالمؤمنين الصادقين فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ أي: لا تجد مؤمنا يحب كافرا ولو كان أقرب الناس إليه من أبيه أو ابنه أو أخيه أو عشيرته، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان.

فقوله: ﴿يُوَآدُّونَ﴾ مفاعلة من المودة تقتضي أن المودة من الجهتين، وقوله: ﴿مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ أي عاداه وخالفه.

وهذه الآية قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ، والأحسن أنها على العموم.

قال الرازي رحمه الله: «لا يجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه، وهذا على وجهين أحدهما: أنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله، لم يحصل فيه الإيمان، فيكون صاحبه منافقا والثاني: أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة. وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد، بل كان عاصيا في الله، فإن قيل: أجمعت الأمة

على أنه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم، فما هذه المودة المحرمة المحظورة؟ قلنا: المودة المحظورة هي إرادة منافسه دينا ودنيا مع كونه كافرا، فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه»

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 29/499]

ثم أثنى الحق سبحانه على المؤمنين الصادقين الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قرابتهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: أولئك الذين لا يوادون أعداء الله مهما كانوا، هم الذين كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم، وأثبته فيها كأنه مكتوب ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ أي: وقوّاهم بنصره وتأييده. وقيل: بلطف وهدى وتوفيق وقيل: بالقرآن. وقيل: بجبريل.

ثمَّ بين الله عز وجل أن جزاءهم في الآخرة هو رضى الله وإقامة دائمة في الجنة فقال: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

ثم بين الله عز وجل أن أولئك المومنين هم أهل الله وجماعته وأن جزاءهم الفلاح فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ هذه في مقابلة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

ثالثا: مقاصد الآيتين:

تهدف الآيتان إلى بيان مجموعة من المقاصد التربوية منها:

- التحذير من محادة الله ورسوله ومخالفة أمرهما.
- أن الله عز وجل قضى وقدر أن تكون الغلبة لله ورسوله.
- الرابطة الإيمانية أقوى من رابطة القرابة.
- أن جزاء المؤمنين حقا هو التأييد الإلهي والجنة والرضى في الآخرة.

التقويم

1- ما معنى محادة الله ورسوله؟ وما جزاء من اتصف بذلك؟

2- ما هي صفات المؤمنين الصادقين الواردة في الآيتين؟

3- أوضح كيف تكون رابطة الدين أقوى من رابطة القرابة؟

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ⑧ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑨﴾ [الممتحنة: 8-9]

- أبحث عن كيفية التوفيق بين النهي عن الموادة مع غير المؤمنين، ومشروعية برورهم والقسط معهم المنصوص عليه في الآيتين.

فهرس الأعلام

الأعلام	ترجمتهم
ابن جزي	هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الأندلسي، ترك كثيرا من الآثار في مختلف فنون العلوم كالفقه والحديث والتصوف والقراءات، من أهم مؤلفاته: كتاب «القوانين الفقهية»، وكتاب «التسهيل في علوم التنزيل». توفي رحمه الله سنة 741 هـ.
ابن أبي حاتم	عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد، حافظ للحديث، له تصانيف، منها «الجرح والتعديل»، و«التفسير»، كان منزله في درب حنظلة بالريّ، توفي عام 327 هـ.
ابن جرير الطبرى	محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الفقيه المفسر المؤرخ. من أشهر مؤلفاته: «جامع البيان فى تفسير القرآن» و«اختلاف الفقهاء» و«أخبار الرسل والملوك» ويعرف بتاريخ الطبرى. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفى بها سنة 310 هـ.

ترجمتهم	الأعلام
محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«التحرير والتنوير في تفسير القرآن»، وغيرها من المؤلفات. توفي رحمه الله سنة 1393 هـ.	ابن عاشور
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، حيث بلغت في الصحيحين وغيرهما نحو 1660 حديثا. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ.	ابن عباس رضي الله عنه
هو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد المعروف بابن عجيبة، والمكنى بأبي عباس، الإمام المفسر، من مؤلفاته: «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، و«حاشية على مختصر خليل»، و«حاشية على الجامع الصغير» للسيوطي وغيرها، توفي رحمه الله سنة 1224هـ	ابن عجيبة

الأعلام	ترجمتهم
ابن عطية	هو: عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطيّة أبو محمد المُحَارِبِيّ الغرناطي المالكي الأندلسي، الفقيه المفسر، تلقى العلم من مشايخ الأندلس، ومنهم: أبوه أبو بكر غالب وأبي علي الغساني. له تآليف كثيرة منها: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، توفي سنة 542هـ.
ابن كثير	هو إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين. من مؤلفاته: «تفسير القرآن العظيم» و «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» وغيرها، توفي رحمه الله سنة 774 هـ.
أبو بكر ابن العربي	محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربيّ المعافري الإشبيلي المالكي، من حفاظ الحديث. برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. صنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. منها: «العواصم من القواصم» و «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» و «أحكام القرآن»، و «القبس في شرح موطأ ابن أنس». ولد في إشبيلية، وولي فيها القضاء، ورحل إلى المشرق، ومات بقرب فاس، ودفن بها عام 543 هـ.

ترجمتهم	الأعلام
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني النِّفْزي أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. من أشهر كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، ولد في غرناطة، ورحل إلى مالقة. ثم أقام بالقاهرة. وتوفي فيها عام: 745 هـ.	أبو حيان
محمود بن عبد الله، شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي البغدادي، مفسر ومحدث وأديب، تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248هـ وعزل فانقطع للعلم، من كتبه: «روح المعاني في التفسير». ولد ببغداد وتوفي بها سنة 1270 هـ.	الألوسي
محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، ألف كتبا كثيرة أهمها تفسيره المشهور: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». توفي سنة 538 هـ.	الزمخشري

الأعلام	ترجمتهم
فخر الدين الرازيّ	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول، من أشهركتبه: «التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب» و«المحصول في علم الأصول»، ولد في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الريّ رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. 606 هـ.
القاضي عياض	عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. ولي قضاء سبتة، ثم قضاء غرناطة، من تصانيفه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و «ترتيب المدارك» و«تقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك»، و «شرح صحيح مسلم»، و «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. ولد بسبتة وتوفي بمراكش عام 544 هـ.

فهرس المصادر والمراجع

ر.ت	المصادر والمراجع
1	القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع الطبعة الصادرة عن مؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثالثة 2012.
2	أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ، 2003 م.
3	الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002 م.
4	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
5	البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420 هـ.

ر.ت	المصادر والمراجع
6	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: 1419 هـ.
7	تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: المشهور بــ«التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
8	تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ، 1999 م.
9	تفسير القران العظيم: لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ.

ر.ت	المصادر والمراجع
10	التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ.
11	جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ، 2000 م.
12	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: المعروف بـــ «صحيح البخاري»، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، (المتوفى: 256هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
13	الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ.
14	روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.

ر.ت	المصادر والمراجع
15	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ
16	سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
17	سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، 2009 م
18	سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، 1395 ه.

المصادر والمراجع	ر.ت
السنن الكبرى: (سنن البيهقي الكبرى) لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1424 - 2003	19
شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 2003 م.	20
الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ	21
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407 هـ.	22
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ	23

ر.ت	المصادر والمراجع
24	مدارك التنزيل وحقائق التأويل: المشهور بتفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ
25	مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ، 1995 م
26	مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ، 2000 م
27	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
28	المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

ر.ت	المصادر والمراجع
29	مفاتيح الغيب ويسمى التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة - 1420 هـ
30	الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1985 م .

فهرس الموضوعات

